كتاب جيل جديد (٢)

سِفر القصص

مختارات من الأدب العالمي

اختيار وتجميع : ابراهيم جعفر

كتاب جيل جديد (٢)

سِفر القصص

PDF

- سِفر القصص
- إختيار وتجميع : إبراهيم جعفر
- كتاب جيل جديد (٢)
- فبراير ٢٠١٥ م

مقدمة :

تعرف القصة بأنها فن نثري يعتمد على السرد أو الوصف أو الخيال حيث تتعدد فيها الأحداث والشخصيات وتتفرع العقدة وتصور الحلول الممكنة ، وهي تعرض أيضا صورة من صور الحياة الواقعية أو المتخيلة كما تتعرض لخلجات النفوس والعواطف وتصور المواقف بشكل فني جاذب .

والقصة القصيرة كمفهوك أدبي لم تعرف إلا في عام ١٩٣٣ في قاموس إكسفورد الإنجليزي ؛ لذا يعتبر الكثير من الكتاب والنقاد أنها مولود القرن العشرين ، رغم أن بعض الباحثين زعموا أن القصو القصيرة قد وجدت طوال التاريخ عبر أشكال مختلفة ، مثل قصص العهد القديم عن الملك داوود ، بينما كانت الأحدوثة وقصص القدوة الأخلاقية في زعمهم هي أشكال العصر الوسيط للقصة القصيرة .

ولكن الكثير من الباحثين يعتبرون أن المسألة أكبر من أشكال مختلفة للقصة القصيرة ، فذلك الجنس الأدبي يفترض تحرر الفرد العادي من ربقة التبعيات القديمة وظهوره كذات فردية مستقلة تعي حرياتها الباطنة في الشعور والتفكير، ولها خصائصها المميزة لفرديتها على العكس من الأنماط النموذجية الجاهزة التي لعبت دورالبطولة في السرد القصصي القديم .

ويمكن القول أن ماشهده القرن الماضي من تطور علمي وفكري وحذاري وصناعي هو من أسباب إنتشار القصة ، إضافة لإهتمام الصحافة بهذا الفن ونشره ، وقد برز عدد من المبدعين لهذا الفن مثل الأمريكي " إدجار آلان بو" و" جوجول الروسى " الذى يعتبره النقاد الأب الروحى للقصة الحديثة بكل مظاهرها وفيه يقول مكسيم جوركى : " لقد خرجنا من تحت معطف جوجول " .

وفي العالم العربي بدأ فن القصة القصيرة فى الظهور والانتشار في الخمسينات والستينات من القرن العشرين بعد فترة من دخول المطبعة وظهور الصحيفة وتغيرطبيعة النظام التعليمى وظهورجمهور جديد من القراء ذو احتياجات ثقافية جديدة ، وكان للنقد موقف خاص من القصة القصيرة ربما كان وراء تأخر انتشارها فى الحياة الأدبية ، وهذا الموقف صنعه موقف النقاد من القصة والقصاص ، حيث كانوا يعدون القصة عامة ، والقصة

القصيرة خاصة شيئاً يسلى به القارىء نفسه فى أوقات الفراغ كما كانوا يعدون كاتب القصة متطفلاً على موائد الأدب ، مما جعل كتابها ينشرونها فى الصحف والمجلات تحت عنوان (فكاهات) أونوادر كما دفع هذا الموقف بعض القصاصين إلى عدم ذكر أسمائهم على رواياتهم التى يبدعونها على نحو ما فعله محمد حسين هيكل فى رواية (زينب)، حيث وقعها بإسم (فلاح مصرى) .

وكان أكثر ما يقدم لجمهور القراء منذ أواخرالقرن التاسع عشر حتى أواخر الثلث الأول من القرن العشرين هو من قبيل الترجمة والاقتباس حتى جمع أمين دار الكتب فى بيروت معجماً لها أثبت فيه نحو عشرة آلاف قصة مترجمة من مختلف اللغات ، وهذا يؤكد أن ظهور القصة القصيرة ، وفن القصص عامة والمسرحيات إنما كان عن طريق معرفة الثقافة الغربية فى أعقاب الاحتكاك الثقافى والفكرى والأدبى الذي حققته النهضة الحديثة التي إجتاحت العالم العربى فى هذا العصر الحديث.

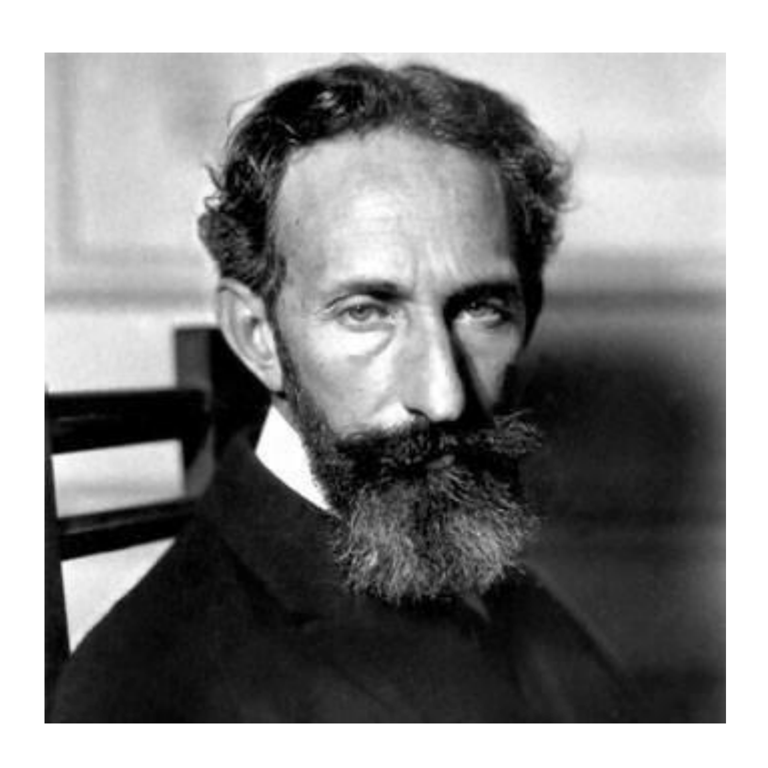
بينما بلغت درجة عالية من النضج على يد " نجيب محفوظ و يوسف إدريس " من مصر، و" زكريا تامر" من سوريا ، و" محمد المر" من الإمارات .

و" جيل جديد " تحاول في هذا العدد الإحتفاء بالقصة عبر مجموعة نصوص قصصية لكتاب المجلة ، إضافة لكتاب إلكتروني - كتاب جيل جديد الثاني - الذي يحتوي على ١٥ قصة وضعت دون ترتيب لكُتّاب غير مشهورين بالنسبة لغالبية القراء ، ورغم أن عملية الإختيار كان معيارها الأساسي الذائقة ، إلا أن كلاسيكية كل قصة وتميزها في معالجة قضية معينة ، إضافة إلى ندرة تواجد قصص بعض الكُتاب ك" هوراسيو كيروغا " على سبيل المثال كان كذلك من طرق الإختيار .

قراءة ممتعة ،،،

جيل جديد

الفهرس :



• إسم القصة : الإبن

• تأليف : هوراسيو كيروغا

• ترجمة صالح علماني

• نبذة عن الكاتب :

ولد هوراسيو كيروغا في ٣١ كانون الأول ديسمبر١٨٧٨، من أب ارجنتيني، هاجر واستقر في بلدة آل سالتو في أوروغواي حيث تزوج بعد أربع سنوات، وأنجب أربعة أبناء كان أصغرهم هوراسيو ، يعتبر هوراسيو كيروغا ١٨٧٨-١٩٣٧ من أهم كتّاب الاوروغواي، وربما من أهم كتّاب أميركا اللاتينية، خصوصاً في مجال القصة القصيرة .

الإبــن

إنـه يـوم صـيفي جـائر في مسـيونيس ، بكـل الشـمس ، والقـيظ ، والسـكون الـذي يهيئـه الفصل. الطبيعة تشعر ، وهي بكامل تفتحها ، بالرضى عن نفسها.

ومثل الشمس ، والقيظ ، والسكون السائد ، كان الأب يفتح قلبه كذلك للطبيعة.

- "كن حذراً يا فتى" ، يقول لابنه مختصراً في هذه الجملة كل ملاحظات الحالة التي يدركها الابن تماماً.

- "أجل يا أبي" ، يرد الفتى وهو يتناول البندقية ويملأ جيوب قميصه بالطلقات ، ويزررها بحذر.

- "عد في موعد الغداء" ، يلاحظ كذلك الأب

- "أجل يا أبي" ، يكرر الصبي.

يوازن البندقية في يده ، يبتسم لأبيه ، ويقبل رأسه وينطلق.

يلاحقه أبوه بعض الوقت بعينيه ويعود إلى عمله لهذا اليوم ، سعيداً بسعادة صغيره.

إنه يعلم أن ابنه الذي تربى منذ طفولته المبكرة على اعتياد الخطر والحذر منه ، يمكنه أن يستخدم بندقية وأن يصطاد شيئاً ما، ومع أنه طويل القامة جداً بالنسبة إلى سنه ، فإنه لم يتجاوز الثلاثة عشرة من عمره ، ويبدو أن عمره أقل من ذلك بالنظر إلى صفاء عينيه الزرقاوين ، اللتين مازالتا تحتفظان بنداوة المفاجأة الطويلة.

لا يحتاج الأب ليرفع عينيه عن عمله لكي يتابع في ذهنه مسيرة إبنه : لقد إجتاز الدرب الأحمر وهو يمضي مباشرة إلى البرية عبر الأرض العشبية.

من أجل صيد البراري - صيد من نوع بسيط - لا بد من صبر أكبر مما يمكن لشبله أن يبديه. بعد اجتياز هذه الجزيرة الخلاء في البرية سيمضي ابنه بمحاذاة حد نباتات الصبار

حتى المستنقع ، بحثا عن حمائم أو طيور طوقان ، أو أي زوج من البلشونات مثل تلك التي إكتشفها صديقه خوان قبل أيام.

الآن فقط ، يرسم الأب ابتسامة وهو يتذكر ولع الصبيين بهواية القنص. وهما لا يصطادان أحياناً سوى طير ياكوتورو أو سوروكوا - وهو أقل - ويعودان ظافرين. خوان إلى مزرعته حاملا البندقية عيار تسعة ملليمترات التي أهداها هو نفسه إليه ، وابنه إلى الهضبة ، ومعه بندقية سانت إيتين الضخمة عيار ١٦ ، رباعية مغلاق الأمان وبارود أبيض.

هو نفسه كان هكذا أيضاً ، ففي الثالثة عشرة من عمره كان مستعداً لتقديم حياته مقابل امتلاك بندقية. وابنه الذي في هذه السن ، يملكها الآن ؛ ويبتسم الأب.

ليس من السهل مع ذلك ، لأب أرمل ليس له أي إيمان أو أمل آخر سوى حياة إبنه ، أن يربيه مثلما فعل هو حراً في محيط تحركه الضيق ، واثقاً في قدميه الصغيرتين ويديه مذ كان عمره أربعة أعوام ، مدركاً جسامة بعض الأخطار وضآلة قواه.

وكان على هذا الأب أن يناضل بقوة ضد ما يعتبره هو أنانية. فما أسهل ما يخطئ يافعُ الحساب ، يخطو بقدمه في الفراغ ، فيضيع إبن!

الخطر يتربص دائماً بالإنسان في أي سن كان ؛ ولكن تهديده يتضاءل إذا ما اعتاد المرء منذ الصغر على عدم الإعتماد إلا على قواه الذاتية.

بهذه الطريقة ربى الأب إبنه ، ولكي يتوصل إلى ذلك كان عليه أن يقاوم ليس قلبه وحسب ، إنما عذابات ضميره : لأن هذا الأب ضعيف المعدة والنظرة ، يعاني منذ بعض الوقت الهلوسات.

لقد رأى ذكريات سعادة مجسدة في وهم موجع ، لا يمكن لها أن تنبثق إلا من العدم الذي حبس نفسه فيه. ولم تفلت صورة ابنه من ذلك العذاب. لقد رآه مرة يتدحرج مضرجاً بالدم عندما قدح الصبي في مخرطة المشغل رصاصة مسدس برابيلو ، وكان ما يريد عمله هو برد إبزيم حزام صيدة.

أمور فظيعة ... أما اليوم ، مع النهار الصيفي الملتهب والحيوي ، الذي يبدو أن ابنه قد ورث حبه ، يحس الأب بأنه سعيد ، مطمئن ، وواثق في المستقبل.

في هذه اللحظة ، ومن مكان غير بعيد تدوي فرقعة.

- " إنها بندقية السانت إيتين ... " ، يفكر الأب وهو يتعرف على الفرقعة ،"لقد نقصت حمائم الجبل حمامتين .. "

ومن دون أن يولي مزيداً من الإهتمام للحديث الطفيف ، يستغرق الرجل مجدداً في عمله.

الشمس وقد أصبحت عالية جداً تواصل صعودها ، وحيثما نظر - أحجار ، تراب ، أشجار - يهتز في الحر الهواءُ المتخلخل كما فرن. ويطبع الجو أزيز عميق يملأ الكائن كله ، ويمتد إلى حيث يصل البصر ، مركزاً في هذه الساعة كل الحياة المدارية.

يلقي الأب نظرة إلى معصمه : إنها الثانية عشرة ويرفع عينيه نحو البراري،لا بد أن يكون إبنه في طريق العودة. ففي الثقة المتبادلة التي يضعها كل منهما في الآخر - لا مكان للخداع أبداً. فعندما يرد عليه ابنه : أجل يا بابا ،فإنه ينفذ ما يقوله. لقد قال إنه سيرجع قبل الثانية عشرة ، وقد ابتسم الأب حين رآه يمضي.

ولم يرجع.

يعود الرجل إلى شغله ، باذلاً جهده في تركيز اهتمامه على عمله. من السهل جداً فقدان الإحساس بالوقت في البرية ، والجلوس لحظة على الأرض للاستراحة دون حراك ..!

وفجأة ، يتوقف ضوء الهاجرة ، والأزيز المداري ، وقلب الأب ، تتوقف كلها على إيقاع ما فكر فيه للتو : ابنه يرقد من دون حراك ...

لقد انقضى الوقت : إنها الثانية عشرة والنصف. يخرج الأب من مشغله ، وحين يسند يده إلى منضدة الآلات يتعالى من عمق ذاكرته دوي طلقة السانت إيتين. لم يسمع دحرجة الأحجار تحت الخطى المعهودة. إبنه لم يرجع ، والطبيعة توقفت عند حافة الغابة في انتظاره ...

أوه ! لا يكفي طبعٌ متمرس وثقة عمياء بتربية إبن لإبعاد شبح القضاء والقدر، الذي يراه أب كليل البصر منتصباً عند حد البرية. سهو ، نسيان ، تأخر طارئ : لم يجد أي من هذه الأسباب الصغرى التي يمكن لها أن تكون قد أخرت مجيء إبنه ، متسعاً في ذلك القلب.

طلقة ، طلقة وحيدة دوت ، ومنذ وقت طويل. ومن بعدها لم يسمع الأب أي صوت ، لم يرَ عصفوراً واحداً ، ولم يجتز الأرض الخلاء أي شخص ليقول له إنه بينما هو يجتاز أحد حواجز الأسلاك ، رأى مصيبة كبيرة.

ينطلق الأب مكشوف الرأس ومن دون منجل الماتشيني. يقطع الأرض العشبية ، ويتوغل في البرية ، يمضي بحذاء حد الصبار من دون أن يجد أدنى أثر لابنه.

ولكن الطبيعة مازالت متوقفة. وعندما ذرع الأب دروب الصيد المعهودة وتفحص الأرض المستنقعية من دون طائل ، أيقن أن كل خطوة يخطوها إلى الأمام ستقوده ، بصورة محتومة ومشؤومة ، إلى جثة إبنه.

لا يمكن لأي تأنيب يوجهه إلى نفسه أن يرثي لحاله. فليس هناك سوى الحقيقة الباردة ، الرهيبة والناجزة : لقد مات إبنه لدى اجتياز أحد ...

ولكن أين ، في أي مكان ؟! ثمة الكثير من الأسيجة هناك ، والبرية شديدة ... شديدة القذارة ! ... بقليل من عدم الحذر لدى اجتياز الأسلاك والبندقية في يده ...

يكتم الأب صرخة. لقد رأى ما يعلو في الهواء ... آه ، ليس هذا إبنه ، لا ! .. ويعود إلى جهة أخرى ، وأخرى ...

لن يكسب شيئاً من رؤية لون وجهه وغم عينه. وهذا الرجل لم يناد إبنه بعد. فمع أن قلبه يناديه صارخاً، إلا أن فمه لا يزال أبكم.

إنه يعرف جيداً أن مجرد ذكر إسمه ، مجرد مناداته بصوت عالٍ ، سيكون إعترافاً بموته ...

- "صغيري" أفلتت منه الكلمة فجأة. وإذا كان يمكن لصوت رجل قوي الشخصية أن يبكي ، فلنغلق آذاننا شفقة حيال الغم الذي يجهر به ذلك الصوت.

لم يرد عليه أحد ولا شيء. مدفوعاً بلسعات الشمس الحمراء ، وقد شاخ عشر سنوات ، يمضي الأب باحثاً عن إبنه الذي مات للتو.

- "بني!.. صغيري...!" ينادي بألفاظ تحبب يُخرجها من أعماق أعماقه.

فيما مضى ، في ذروة السعادة والسلام ، كان هذا الأب قد عانى هلوسة ، تخيل إبنه متدحرجاً وجبهته مفتوحة برصاصة الكروم والنيكل. والآن ، في كل ركن مظلم من الغابة يرى وميض أسلاك ؛ ويرى عند أصل عمود سياج ، مع البندقية الفارغة الملقاة جانباً ... يرى ابـ...

- "صغيري ...! إبني ...!"

القوى التي تسمح باستسلام أب مسكين مهلوس لأشد الكوابيس فظاعة ، تكون لها نهاية أيضاً . ورجلنا يشعر بأن قواه تفلت منه حين يرى إبنه وهو ينفذ فجأة من درب جانبي.

يكفي لصبي في الثالثة عشرة أن يرى عن بعد خمسين متراً ملامح أبيه الذي يمضي في الغابة من دون منجل ماتشيتي ، لكي يسرع الخطى بعينين مغرورقتين بالدموع.

- "صغيري ..." يدمدم الرجل ،وينهار، مستنفداً ، ليقعد على الرمل الموحل ، محتضناً بذراعيه ساقي إبنه.

ويبقى الصبي المطوق بتلك الطريقة ، واقفاً ؛ ولأنه يدرك ألم أبيه ، فإنه يداعب رأسه برفق.

- "مسكين يا أبت.."

وأخيراً ، لقد انقضى الوقت ، وها قد بلغت الساعة الثالثة. فينطلقان معاً ، الأب والابن ، عائدين إلى البيت.

- "كيف لم تنتبه إلى الشمس لكي تعرف ..؟" تمتم الأول.

- "بل انتبهت إليها يا أبي ... ولكنني حين أردت الرجوع رأيت بلشونات خوان وتبعتها .."

- "يا للرعب الذي جعلتني أمر به يا صغيري...!"

- "بابا الحبيب ..." غمغم الصبي أيضاً.

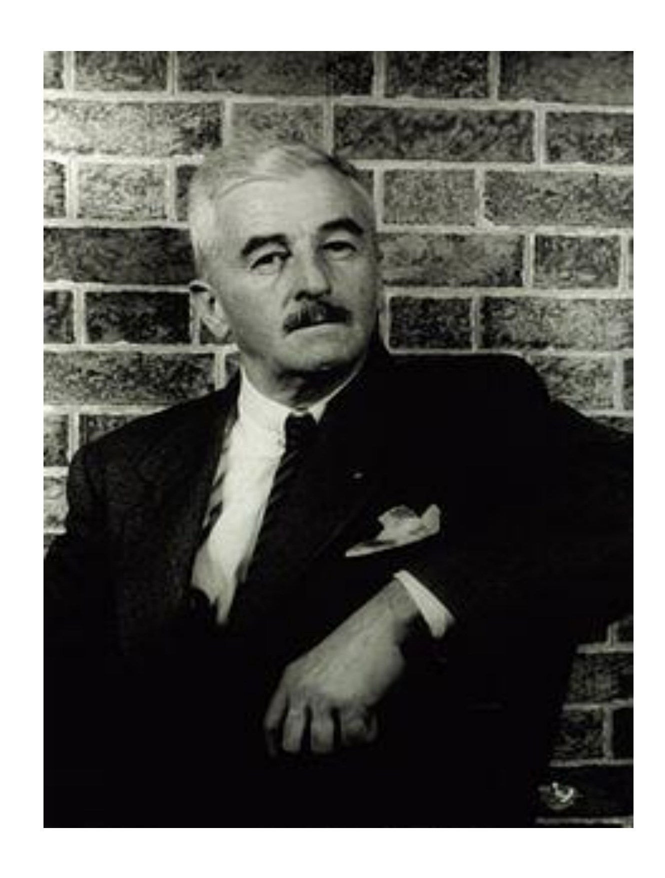
وبعد صمت طويل :

- "وهل اصطدت البلشونات؟" سأل الأب.

- "لا.."

إنه مجرد تفصيل تافه في نهاية المطاف. تحت السماء والهواء المتوهج ، مكشوفاً في الأرض العشبية ، يرجع الرجل إلى البيت مع إبنه ، وعلى كتفي الإبن ، اللذين بعلو كتفيه ، يضع ذراعه الأبوية السعيدة. يرجع مبللاً بالعرق ، وعلى الرغم من إنكسار الجسد والروح ، فإنه يبتسم بسعادة ...

يبتسم بسعادة هلوسة ... فهذا الأب يمضي وحيداً. لأنه لم يجد أحداً ، وذراعه تستند إلى الفراغ.فوراءه ، عند أصل عمود سياج ، يرقد إبنه المحبوب بساقين مرفوعتين إلى أعلى ، متشابكتين بالسلك الشائك ، ميتاً منذ الساعة العاشرة صباحاً.



- إسم القصة : وردة الى أميلي
- تأليف : وليم فوكنر
- ترجمة : رافع الصفار
- نبذة عن الكاتب :

ويليام كتبيرت فوكنر (٢٥ سبتمبر ١٨٩٧ - ٦ يوليو ١٩٦٢) روائي أمريكي وشاعر وأحد أكثر الكتاب تأثيراً في القرن العشرين. حصل على جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٤٩، كما نال جائزة بوليتزر في عام ١٩٥٥ عن حكاية خرافية، وفي عام ١٩٦٣ عن الريفرز. تتميز أعمال فوكنر بمساحة ملحوظة من تنوع الأسلوب والفكرة والطابع.

وردة الى أميلي

عندما توفيت الآنسة أميلي غريرسون (Emily Grierson)، حضر الجميع مراسيم جنازتها. الرجال من أجل التعبير عن حبهم الكبير لهذه المرأة التي كانت صرحاً فهوى فجأة، والنساء يدفعهن الفضول لرؤية بيتها الذي لم يدخله أحد باستثناء الخادم المكلف بمهام البستاني والطباخ طوال العشر سنوات الماضية.

كان بيتاً كبيراً مربع الشكل، ذا طراز كان شائعاً في السبعينات، سبق أن طلي باللون الأبيض، تعتليه قباب وأبراج وتحيط به شرفات دائرية، يقع على ما كان يعرف في يوم ما بشارعنا المفضل. لكن الكراجات ومحالج القطن التي زحفت عليه طمست فيه كل ملامح الوقار، باستثناء بيت الآنسة أميلي الذي ظل رافعاً هيكله المتداعي بعناد وغنج، شامخاً وسط عربات القطن ومضخات الغاز.

والآن رحلت الآنسة أميلي كي تلتحق بممثلي تلك الأسماء الطنانة الراقدين في المقبرة المعزولة تحت أشجار السدر بين قبور جنود الاتحاد المجهولين الذين سقطوا في معركة جيفرسون.

كانت الآنسة أميلي في حياتها تمثل نوعاً من الإلتزام المتوارث المفروض على المدينة والذي يعود إلى ذلك اليوم من عام ١٨٩٤ عندما قام الكولونيل سارتوريس ، عمدة المدينة، وصاحب القرار الذي يمنع المرأة الزنجية من الخروج إلى الطريق من دون مريلتها، بإعفائها من الضرائب، ذلك الإعفاء المرتبط بوفاة أبيها ومن ثم تحول بعد ذلك إلى حالة دائمة. ولم تكن الآنسة أميلي لتقبل بالصدقات، ولهذا لجأ الكولونيل سارتوريس إلى إختلاق رواية تقول بأن والد الآنسة أميلي سبق له أن قدم قروضاً للمدينة التي ترى بأن هذه هي الطريقة الأمثل لسداد هذا الدين. لن يبتكر هذا إلا رجل من نمط الكولونيل في سلوكه وأخلاقه وطريقة تفكيره، ولن يصدق ما ذهب إليه إلا إمرأة فقط.

عندما جاء رجال الجيل التالي بأفكارهم الأكثر حداثة ليصبحوا عمداً ونواب حكام، فإن هذا الترتيب ما عاد مقنعاً لهم. مع بداية العام بعثوا لها ببلاغ تسديد الضريبة. حل شهر

فبراير دون أن يحصلوا على رد منها. كتبوا لها رسالة رسمية يطلبون منها الحضور إلى مكتب الشريف وفي الوقت الذي يناسبها. وبعد حوالي أسبوع كتب لها العمدة بنفسه يعرض عليها أن يقوم بزيارتها أو أن يبعث لها بسيارته. جاءه الرد مدونا على ورقة قديمة حائلة اللون وبخط رقيق باهت يعلمه بأنها توقفت عن الخروج منذ زمن، وكان البلاغ مرفقاً مع الرد دون ملاحظة أو تعليق.

قاموا بعقد إجتماع لمجلس إدارة المدينة، وبعثوا بمندوبين عنهم لمقابلة الآنسة أميلي في بيتها. قرعوا البوابة التي لم يعبرها زائر منذ توقفت عن إعطاء دروس في الرسم على الخزف الصيني قبل ثمان أو عشر سنين. قادهم الزنجي العجوز إلى داخل ردهة معتمة ومنها إلى سلالم أكثر عتمة مشبعة بالغبار والرطوبة، وانتهى بهم داخل غرفة الجلوس، وكان أثاثها فخم في شكله مغلف بالجلد. عندما أزاح الزنجي الستارة عن أحد النوافذ، كشف الضوء لهم التشققات المنتشرة في الجلد، وعندما جلسوا تصاعد غبار خفيف حول أفخاذهم راحت جزيئاته تتمطى داخل خطوط أشعة الشمس المنسلة من النافذة. على مسند ذي لون مذهب داكن أمام الموقد كانت تنتصب صورة لوالد الآنسة أميلي رسمت بأقلام الشمع الملونة.

نهضوا واقفين عندما دخلت عليهم. كانت امرأة بدينة صغيرة الحجم تتلفع باللون الأسود، حول جيدها سلسلة ذهبية تتدلى حتى خصرها وتختفي تحت الحزام، تتوكأ على عصا سوداء ذات مقبض من ذهب خابي اللون. كانت منتفخة مثل جسد ترك غاطساً في ماء راكد زمناً، ذات بشرة شديدة الشحوب، وكانت عيناها الضائعتان بين طيات وجهها كأنهما فحمتين صغيرتين مضغوطتين داخل قطعة عجين تتحركان من وجه إلى آخر بينما الضيوف يذكرون لها أسباب الزيارة.

لم تطلب منهم أن يجلسوا. ظلت واقفة عند الباب تستمع بهدوء حتى أنهى المتحدث كلامه. وكان بإمكانهم أن يسمعوا تكتكة الساعة المعلقة بالسلسة الذهبية والمختفية تحت الحزام.

جاء صوتها جافاً وبارداً:

- أنا معفاة من الضرائب في جيفرسون. الكولونيل سارتوريس أوضح لي هذا، ويمكنكم أن تعودوا إلى سجلات المدينة للتأكد من ذلك.

- سبق وفعلنا، فنحن السلطة. ألم تستلمي البلاغ المرسل والموقع من قبل الشريف؟

أجابت الآنسة أميلي قائلة:

- نعم، إستلمت ورقة. قد يعتبر نفسه شريفاً...ولكني معفاة من الضرائب في جيفرسون.

- ولكن ليس هنالك ما يثبت كلامك، لذا علينا أن...

_ إرجع إلى الكولونيل سارتوريس. أنا معفاة من الضرائب.

- ولكن يا آنسة أميلي...

- إرجع إلى الكولونيل سارتوريس. (الكولونيل سارتوريس متوفى منذ عشر سنوات) أنا معفاة من الضرائب.

ثم صاحت منادية

- توب.

فظهر الزنجي.

- رافق السادة إلى الخارج.

*

وهكذا هزمتهم، فرساناً ومشاة، تماماً كما هزمت آباءهم قبل ثلاثين عاماً حول الرائحة العفنة.

حدث ذلك بعد سنتين من وفاة والدها، ولم تمض بعد فترة طويلة على هجر حبيبها لها، والذي إعتقدنا أنه سوف يتزوجها. بعد وفاة أبيها كانت تخرج من حين لآخر، وبعد أن هجرها حبيبها لم يعد يراها أحد. بعض النسوة تجرأن وذهبن لزيارتها، لكنها لم تستقبلهن.

وكان الزنجي العلامة الوحيدة على وجود حياة في البيت، يراه الناس يدخل ويخرج حاملاً سلة التسوق.

قالت بعض السيدات:

- كما لو أن الرجل، أي رجل، يستطيع أن يؤدي واجبات المطبخ بالشكل الأمثل.

لذا لم يكن أمرا مثيراً للدهشة عندما انتشرت في المنطقة رائحة عفنة. وكان ذلك رابط آخر بين جمهرة الناس وآل غريرسون المتعالين.

جارة لها، عجوز في الثمانين شكت الأمر للعمدة، القاضي ستيفنز. قال لها متسائلاً:

- وماذا تريدين مني أن أفعل يا سيدتي؟

-إبعث لها بخطاب كي تتدبر الأمر. أليس هنالك قانون؟

أجابها القاضي ستيفنز:

- لا أرى ذلك ضرورياً، ربما تكون هذه الرائحة ناتجة عن جرذ قتله الزنجي. سأتحدث معه في هذا الأمر.

في اليوم التالي إستلم شكاوى أخرى. إحداها كانت من رجل قدم شكواه على إستحياء.

- يجب أن نفعل شيئاً بخصوص الموضوع سيدي القاضي. قد أكون آخر من يفكر في مضايقة الآنسة أميلي، ولكن لابد من عمل شيء.

في تلك الليلة إجتمع مجلس إدارة المدينة، ثلاثة بلحى بيضاء ورابعهم شاب ينتمي إلى الجيل الصاعد.

- المسألة في غاية البساطة. نبعث لها بخطاب نعلمها بضرورة أن تقوم بتنظيف بيتها، ونعطيها الوقت الكافي لتقوم بذلك، وإذا لم تفعل...

صرخ القاضي ستيفنز:

- اللعنة يا سيدي. هل تريد أن تتهم سيدة في وجهها بعفونة رائحتها؟

بعد منتصف الليلة التالية عَبَرَ أربعة رجال حديقة الآنسة أميلي وداروا حول المنزل كاللصوص يتشممون قواعد الجدران وفتحات القبو، بينما كان أحدهم ينشر شيئاً ما من كيس معلق على كتفه. بعدها اقتحموا باب القبو ونشروا في داخله محلول الجير.

أثناء عبورهم للحديقة ثانية مبتعدين عن البيت، أضيئت إحدى النوافذ وأطلت منها الآنسة أميلي. إنعكاس الضوء عليها من الخلف جعلها تبدو مثل تمثال مبتور الرأس والذراعين. لم يلتفتوا وواصلوا زحفهم عبر الأرض الخضراء صوب أشجار الخرنوب المحاذية للطريق حيث إبتلعتهم العتمة. بعد أسبوع أو اثنين إختفت الرائحة.

كان ذلك عندما بدأ الناس بالتعاطف معها. فسكان مدينتنا والذين مازالوا يتذكرون عمتها السيدة ويات التي فقدت عقلها تماماً، يرون بأن آل غريرسون يضعون أنفسهم في موقع أرفع بقليل مما هم في الحقيقة. ولم يكن أحد من الشباب جيداً مع الآنسة أميلي. كنا دائما ننظر إليهما كلوحة: أميلي بجسدها الأهيف وملابسها البيضاء في الخلف، وأبوها بملابسه الداكنة المعتمة في مقدمة الصورة، ممسكاً بسوطه موليا ظهره لأبنته، ويتأطران بالباب الأمامي المدفوع إلى الوراء. لذلك عندما بلغت الثلاثين ولم تكن قد تزوجت بعد، لم نكن مسرورين تماماً، ولكن باحثين عن تبريرات: فبالرغم من الجنون المتوارث في العائلة، ما كانت لتضيع كل الفرص المتوفرة أمامها لو كان فيها شيئاً من الواقعية.

عندما توفي أبوها تبين أنه لم يترك لها غير البيت، ففرح الناس لذلك لأنهم أخيراً سيشفقون على الآنسة أميلي، ثم أن الوحدة والحاجة سيجعلان منها كائناً أكثر إنسانية، وستعرف الآن قيمة القرش.

في اليوم التالي للوفاة تهيأت النسوة للتوجه إلى بيت المتوفى لتقديم العزاء والمساعدة. وكما هي العادة المتبعة إستقبلتهن الآنسة أميلي عند الباب مرتدية ملابسها العادية ولم يكن بادياً عليها أي أثر للحزن. قالت لهن بأن أباها ما يزال حياً. فعلت ذلك لثلاثة أيام متتالية رغم محاولات رجال الدين والأطباء في إقناعها للتجهيز لمراسيم دفن الجثة. كانوا على وشك اللجوء إلى القضاء عندما إنهارت أخيراً، فقاموا بدفن الجثة على عجل.

ولم نقل بأنها جنت، بل أعطيناها بعض الحق فيما فعلت. وعندما تذكرنا كل أولئك الشباب الذين طردهم أبوها، أدركنا بأن أميلي وبعد أن خسرت كل شيء كان لابد لها من التشبث بالذي سلبها كل شيء، وكما سيفعل الآخرون.

*

يبدو أنها كانت مريضة لزمن طويل. عندما رأيناها ثانية، كان شعرها قصيراً، وقد جعلها تبدو كفتاة، مع شبه غامض لتلك الملائكة المرسومة على نوافذ الكنيسة الملونة_ شيء من سكينة مأساوية.

كانت المدينة قد سمحت للتو بتنفيذ عقود تعبيد الأرصفة، وفي الصيف الذي تلا وفاة والدها باشروا بالعمل. قامت شركة الإنشاءات المكلفة بجلب الزنوج والبغال والمعدات، وكان مراقب العمال، وإسمه هومر بارون، شمالياً ضخم الجثة، أسمر اللون، مستنفراً على الدوام ذا صوت جهوري وعينين أقل عتمة من وجهه. كان الأولاد الصغار يلاحقونه كي يسمعوه وهو يشتم ويلعن العمال الذين لا يتوقفون عن الغناء مع إرتفاع وهبوط المعاول. عرف الجميع في زمن قياسي. وأينما سمعت صخباً وضحكاً في مكان ما من الميدان، فلابد أن هومر بارون يتوسط تلك المجموعة. بعدها بدأنا نراه مع الآنسة أميلي في عصريات الآحاد في العربة الصفراء يجرها زوج من الخيول ذات لون بني داكن اختيرت بعناية من حظائر سباق الخيل.

سعدنا في البداية لأن الآنسة أميلي وجدت في ذلك شيئاً من المتعة والتسلية، ولأن جميع النساء تقريباً قالوا بأن آل غريرسون لن يعيروا إهتماما لكون الرجل من الشمال وعامل أجرة باليومية. لكن كبار السن، والذين كان لهم رأي آخر، قالوا بأنه لا يمكن للحزن مهما كان شديداً أن يجعل المرأة الأصيلة تنسى كرامة وشرف العائلة. لم يستخدموا بالضبط تلك الكلمات لكنهم قالوا: المسكينة أميلي، لابد لأقاربها أن يعرفوا بالأمر. ولدى أميلي أقارب في ألاباما، لكنه، ومن سنين طويلة، حصل خلاف بينهم وبين أبيها حول أملاك العجوز المجنونة ويات وانقطع الإتصال بين العائلتين من حينها، حتى أنهم لم يحضروا إلى مراسيم الجنازة.

وبدأ الهمس حالما قال كبار السن: المسكينة أميلي. كان أحدهم يقول إلى الآخر:

- هل تعتقد أن الأمر بهذا الشكل؟

- بالتأكيد هو كذلك وإلا ماذا يمكن أن يكون؟

ويجري الهمس كلما مرت العربة الصفراء في الطريق من أمام النوافذ تحت شمس عصر يوم أحد.

المسكينة أميلي. كانت ترفع رأسها عاليا حتى عندما كنا نعتقد بأنها على وشك أن تسقط، كأنها كانت تطالبنا أكثر من ذي قبل بعلو مقامها باعتبارها آخر فروع آل غريرسون، وكما لو أنها كانت تنتظر تلك اللمسة الأرضية لتؤكد منعتها وحصانتها. تماماً كتلك الحالة التي اشترت فيها سم الفئران. وكان قد مر عام تقريباً على موضوع الهمس الذي جرى حولها، وكانت اثنتين من بنات عمها قد جئن لزيارتها.

قالت للصيدلي:

- أريد بعض السم.

كانت قد تجاوزت الثلاثين من عمرها، وكانت ما تزال نحيفة، ولو أنها أكثر نحافة من المعتاد. عيناها سوداوان يشع منهما عدم الود والعجرفة تتوسطان وجهاً مشدوداً عند الصدغين وحول المحجرين يشبه في ذلك وجه حارس الفنار كما ينبغي أن يتخيله المرء. قالت:

- أريد بعض السم.

- أي نوع تريدين سيدتي؟ هل هو للفئران؟ أعتقد أن...

قاطعته أميلي قائلة:

- أفضل ما عندك، ولا يهم النوع.

ذكر الصيدلي بضعة أنواع قائلا:

- إنها يمكن أن تقتل حتى الفيل، ولكني....

قاطعته أميلي مرة أخرى لتقول:

- زرنيخ. هل هو نوع جيد؟

- هل ...الزرنيخ؟ دون شك سيدتي، ولكن لماذا تريدين...

- أريد زرنيخ.

نظر الصيدلي إليها، ونظرت إليه منتصبة، مشدودة كالعلم. أجابها أخيراً:

- بالطبع، سيدتي، ولم لا مادام هذا هو طلبك. ولكن القانون يتطلب منك أن تذكري دواعي الإستعمال.

لم ترد عليه لكنها راحت تحدق في وجهه وفي عينيه ورأسها مدفوع إلى الوراء، حتى انسحب بنظراته بعيداً عنها وتحرك ليجلب لها السم. لكنه لم يرجع إليها، بل جاءها الزنجي الصغير العامل في الصيدلية ليسلمها الطرد. وعندما فتحته في البيت قرأت تحت الجمجمة والعظمتين كلمات تقول: سم فئران.

*

وفي اليوم التالي قلنا: ستقتل نفسها، وأكدنا بأن هذا هو أفضل شيء يمكن أن تفعله. وعندما بدأت تخرج مع هومر بارون قلنا: سوف تتزوجه. بعدها قلنا بأنها سوف تنجح في إقناعه، لأن هومر سبق وأن أشار بنفسه بأنه يحب الغلمان، كما أن الجميع يعرفون بأنه يسكر مع الشباب في نادي ألك، وذلك هو السبب وراء إمتناعه عن الزواج. ثم بدأنا نقول: المسكينة أميلي. من خلف الشبابيك عندما تمر عربتهما، أميلي مرفوعة الرأس، وهومر على جانبها، قبعته مدفوعة إلى الوراء والسيجار بين أسنانه، ممسكاً باللجام والسوط بقفازات صفراء.

وعلت ثرثرة بعض النسوة اللواتي قلن بأن أميلي عار على البلدة ونموذج سيء للشباب. ولم يكن يرغب الرجال بالتدخل. لكن النساء تمكن في النهاية من إرغام رئيس الكنيسة المعمدانية على القيام بزيارتها. لم يكشف عما جرى في تلك المقابلة، ورفض أن يعود إليها ثانية. الأحد التالي عادا للظهور ثانية في شوارع المدينة، وفي اليوم التالي كتبت زوجة رئيس الكنيسة إلى أقارب أميلي في ألاباما.

وهكذا ظهر أقاربها في البيت ثانية، فانسحبنا من الواجهة نراقب تطور الأمور عن كثب. في البداية لم يحدث شيء. بعدها تأكدنا من أنهما سيتزوجان. علمنا بأن الآنسة أميلي ذهبت إلى محل الجواهر وطلبت طقم تواليت فضي رجالي مكتوب على كافة قطعه الحرفان (H. B). وبعد يومين عرفنا بأنها اشترت ملابس رجالية من ضمنها قميص نوم، فقلنا بأنهما قد تزوجا. كنا سعداء حقاً، سعداء لأن ابنتي عمها كانتا أكثر انتماءً لآل غريرسون من أميلي نفسها.

لذا لم نندهش عندما رحل هومر بارون، وكانت أعمال تعبيد الطريق قد انتهت منذ فترة. ربما أصابتنا الخيبة بعض الشيء لأنهم لم يحتفلوا بالمناسبة علناً، لكننا إعتقدنا بأنه رحل كي يهيئ لإستقبال أميلي، أو ليمنحها الفرصة كي تتخلص من ابنتي عمها (في ذلك الوقت كنا جميعاً متعصبين لأميلي ونتحاشى تماماً القريبتين). بعد أسبوع رحلتا، وكما توقعنا، وخلال ثلاثة أيام، عاد هومر بارون إلى المدينة. في إحدى الأمسيات رأى أحد الجيران الزنجي وهو يفتح له باب المطبخ.

وكانت تلك آخر مرة نرى فيها هومر بارون. وكنا نرى الآنسة أميلي أحياناً. ظل الزنجي يخرج ويدخل حاملاً سلة التبضع، لكن الباب الرئيس ظل مغلقاً. ومن حين لآخر كنا نراها تطل من النافذة لبعض الوقت كما حدث مع الرجال الذين نشروا محلول الجير حول البيت. لكنها تقريبا لستة شهور لم تظهر في شوارع المدينة. حتى هذا كنا نتوقعه، إذ يبدو أن سلوك والدها الذي وقف حائلاً بينها وبين إشباع حاجاتها كأنثى، ولأكثر من مرة، قد ترك في أعماقها حقداً وغلاً، لا يمكن أن يموت بسهولة.

عندما رأينا الآنسة أميلي في المرة التالية كانت قد إزدادت سمنة وغزاً الشيب شعرها. وخلال بضع سنوات إبيض شعر رأسها تماماً، لكنه ظل محتفظاً بحيويته حتى لحظة موتها وهي في الرابعة والسبعين من عمرها.

منذ ذلك الوقت ظل الباب الرئيس مغلقاً باستثناء فترة ست أو سبع سنوات عندما كانت في الأربعين، خلالها كانت أميلي تعطي دروساً في الرسم على الخزف الصيني. قامت بتحويل إحدى غرف الطابق الأرضي إلى إستديو حيث تستقبل بنات وحفيدات العوائل خلال فترة الكولونيل سارتوريس والذين واظبوا على إرسالهن إليها بصورة منتظمة تماماً كما كانوا

يرسلوهن أيام الآحاد إلى الكنيسة، تحمل كل واحدة منهن عشرين سنتاً من أجل صحن التبرعات.

بعدها إحتل الجيل الجديد مواقع السلطة في البلدة، وكبر التلاميذ فانفرطوا عنها ولم يرسلوا أولادهم إليها محملين بعلب الألوان والفرش والصور المقطوعة من المجلات النسائية، فأغلق الباب الرئيسي ولم يفتح. عندما حصلت المدينة على خدمات مجانية للبريد، لم تسمح لهم بتثبيت الحروف المعدنية على الباب أو تعليق الصندوق، ورفضت أن تصغي لهم.

كل يوم وعلى إمتداد أشهر السنة والسنوات المتواصلة كنا نراقب الزنجي وهو يكبر ويشيب شعره ويزداد إنحناء وهو يخرج ويدخل حاملاً سلة التبضع. وفي الشهر الأخير من كل سنة، نبعث لها ببلاغ الضريبة، فتعيده إلينا بالبريد بعد أسبوع من إرساله. ومن حين لآخر نراها عند أحد نوافذ الدور الأرضي كأنها تمثال في محراب تنظر أو لا تنظر إلينا وهذا ما لم نستطع البت فيه. كان واضحاً لنا أن أميلي أغلقت الدور العلوي للبيت. هكذا كانت تنتقل من جيل إلى آخر عزيزة، منيعة، لا مفر منها، نقية ومنفلتة.

وأخيراً ماتت. مرضت في بيت تملؤه الظلال والغبار، لا أحد معها غير زنجي عجوز متهالك يقوم على خدمتها. ونحن لم نعرف بأنها كانت مريضة، فقد تخلينا منذ زمن بعيد عن متابعة أخبارها وسؤال الزنجي عنها، والذي لم يكن يتحدث مع أحد، بل ربما لم يكن يتحدث حتى معها، لأن صوته صار جافاً خشناً وصدئاً من عدم الإستعمال.

توفيت أميلي في إحدى غرف الدور الأرضي في سرير فخم مصنوع من خشب الجوز، وكان رأسها الأشيب يرقد على وسادة صفراء متعفنة بسبب قِدمها ونقص ضوء الشمس.

*

إستقبل الزنجي طلائع النساء المعزيات عند الباب الرئيسي، وكن يحذرن بعضهن بالتزام الهدوء، بينما كانت عيونهن تتحرك بفضول شديد في أرجاء المكان. تركهن الزنجي وتحرك مبتعداً إلى الداخل حيث إختفى ولم يره أحد ثانية.

حضرت ابنتا عمها في نفس يوم وفاتها، وأقامتا مراسيم الجنازة في اليوم التالي، فحضر الجميع لإلقاء النظرة الأخيرة على الآنسة أميلي وهي ترقد في كفن مكلل بالورود، ووجه والدها في الصورة التخطيطية يطل عليها بنظرته التأملية العميقة، والنسوة من حولها يتهامسن وهن في حالة رهبة وفزع، وعدد من الرجال كبار السن جدا، بعضهم في بزاتهم الاتحادية، تجمعوا في الرواق أو في الحديقة يتحدثون عن الآنسة أميلي كما لو كانت تنتمي لجيلهم، معتقدين بأنهم رقصوا معها وربما غازلوها أيضا، وقد تداخلت واختلطت عليهم الأزمنة كما يحدث لكبار السن عادة، والذين يبقى الماضي بالنسبة لهم أكبر من كونه طريقاً باهت الألوان، بل هو مرج أخضر مترامي الأطراف لم يدنُ منه أو يلمسه شتاء، يفصله عنهم طريق ضيق أشبه بعنق زجاجة متمثلا في سنوات العمر الأخيرة.

وعرفنا بأنه يوجد غرفة واحدة في الدور العلوي لم يدخلها أحد منذ أربعين عاماً، فانتظروا حتى إنتهاء مراسيم دفن الآنسة أميلي كي يفتحوها.

الإقتحام العنيف لباب الغرفة جعلها تمتلئ بالغبار المتطاير. وكان هنالك حجاب من القتامة، كما لو في القبر، يبعث على الكآبة، يغلف أرجاء الغرفة المعدة لليلة عرس، وينتشر فوق الستائر ذات اللون الزهري الحائل والمصابيح وطاولة الزينة وأدوات زينة رجالية مغلفة بطبقة من الفضة الصدئة، وقد أخفى الصدأ حروفاً حفرت عليها، وإلى جانب تلك الأدوات كانت هنالك ربطة عنق وياقة كأنهما خلعا للتو، عندما رفعناهما من موضعهما، تركاً هلالاً شاحباً من الغبار. وفوق كرسي وضعت بدلة طويت بعناية، وتحت الكرسي حذاء وجوربين.

وكان الرجل نفسه يرقد في السرير.

لبرهة من الزمن وقفنا في موضعنا هناك نتأمل تلك التكشيرة العظمية. كان واضحاً أن الرجل منذ رقدته الأولى وهو في حالة عناق، لكن النوم الطويل على ما يبدو قد أزاح عنه كل ما له علاقة بالحب. وما بقي منه كان متفسخاً تحت ما تبقى من بيجامته، متحولاً إلى جزء غير قابل للفصل عن السرير الذي يرقد فيه.

ثم لاحظنا وجود إنبعاج في الوسادة الثانية يشير إلى إستخدامها من قبل شخص آخر. والتقط أحدنا شيئاً من على تلك الوسادة. عندما إنحنينا لتفحصه، واخترقت خياشيمنا رائحة الغبار الحارقة، تأكد لنا بأنها شعرة طويلة رمادية اللون.



- إسم القصة : فدية زعيم الهنود الحمر
- تأليف : أو. هنري
- ترجمة : هالة صلاح الدين
- نبذة عن الكاتب :

أو.هنري كان الاسم الذي أطلقه على نفسه الكاتب الأمريكي وليام سيدني بورتر ((١١ سبتمر، ١٨٦٢ _ ٥ يونيو ١٩١٠)) إشتهرت قصص أو، هنري القصيرة بخفة الدم والسخرية، وإطلاق النكت ورسم ملامح لشخصياته بصورة دفئة ونهايات ملتوية بارعة. صور في قصصه القصيرة التي يختلط فيها الهزل بالجد حياة الناس العاديين في مدينة نيويورك، ومن هنا عدت وثائق إجتماعية هامة.

فدية زعيم الهنود الحمر

بدت وكأنها مهمة لا بأس بها: لكن مهلاً حتى أحكي لك.. كنا جنوباً في ألاباما – بيل دريسكول وأنا – حين وردت في أذهاننا هذه الفكرة، فكرة الإختطاف. برَقتْ – كما عبَّر عنها بيل بعدئذ – "خلال لحظة من التوهم العقلي المؤقت" بيد أننا لم نكتشف تلك الحقيقة إلا لاحقاً.

كانت هناك بلدة تقبع في الجنوب، أرضها منبسطة إنبساط كعكة مخيض اللبن والبيض، واسمها كما هو متوقع 'صَمِت.' ضمت سُكاناً من أكثر الطبقات الريفية المتجمعة حول سارية إحتفالات الربيع مسالمةً ورضاً على الإطلاق.

كنت أنا وبيل نمتلك رأس مال مشتركاً قدْره زهاء ستمائة دولار، وما كنا في حاجة إلا إلى ألفيّ دولار إضافيتين لإنجاح مؤامرة إحتيال في غرب إلينوي، سوف نبيع للناس أراضي قسَّمتْها الحكومة وعرَضتْها للبيع لإنشاء بلدة جديدة. بحثنا تفاصيلها على سلالم الفندق الأمامية. قلنا إن حب الأهل لأولادهم شعور راسخ في المجتمعات شبه القروية؛ ولذلك، ولأسباب أخرى، من المتوقع أن يصبح مشروع الإختطاف أكثر ملائمة هناك من المنطقة المحيطة بالجرائد، جرائد توزع مراسلين متخفين في ملابس غير رسمية لإثارة القيل والقال حول هذه الحوادث. كنا نَعلم أن بلدة 'صَمِت' لن تقوى على مطاردتنا بما هو أقوى من موظفي الأمن وربما بعض الكلاب البوليسية فاترة الهمة ومقالة أو مقالتين غاضبتين تطفحان شجباً في نشرة ميزانية المزارعين الأسبوعية. وهكذا بدت الخطة مبشرة.

إخترنا ضحيتنا: الطفل الوحيد لمواطن بارز يدعى إبينيزر دورسِت. كان الأب محترماً بين الناس حريصاً على أمواله. يهوى الرهونات ويُمرر – وهو رَجل صارم المسلك مستقيم الأخلاق – طبق الإعانات في الكنيسة ويَحبس الرهونات. كان الولد صبياً في العاشرة ، ذا وجه يعلوه نمش بارز قليلاً بروز النقوش ، وشَعر بلون غلاف المجلات التي تشتريها من كشك الجرائد حين تريد اللحاق بالقطار. خمنتُ أنا وبيل أن إبينيزر سوف يَرِق له ويدفع فدية قيمتها ألفا دولار حتى آخر سنت. لكن مهلاً حتى أحكي لك.

قام على بعد ميلين من بلدة ’صَمِت‘ جبل صغير تغطيه أجمة كثيفة من أشجار الأرْز. توارى كهف في الجانب الخلفي من هذا الجبل. وهناك خزَّنا المؤن.

قدنا عربة يجرها حصان قبالة منزل دورسِت العجوز بعد غروب شمس إحدى الأمسيات. كان الطفل يقف في الشارع، يقذف هُريرة عند السور المقابل بالحجارة.

"أهلاً يا ولد يا صغير!" قال بيل، "هل تحب أن تأخذ كيس حلوى وتستمتع بالركوب معنا؟"

رشق الصبي عين بيل بقطعة من الطوب.

"سوف تُكلف تلك الفعلة أباه خمسمائة دولار إضافية." يعلن بيل وهو يرتفع فوق العجَل.

أبدى ذلك الصبي مقاومة خليقة بدب بلون القرفة ووزن ملاكم من الوزن الخفيف المتوسط؛ غير أننا أنزلناه أخيراً في قاع العربة وقدنا بعيداً عن المكان. حمَلناه إلى الكهف ثم شدَدتُ الحصان إلى إحدى أشجار أجمة الأرْز. وبعد أن أرخى الليل سدوله، قدتُ العربة مسافة ثلاثة أميال متجهاً إلى قرية صغيرة استأجرنا منها العربة ثم رجعتُ أدراجي إلى الجبل.

ألفيت بيل يلزق لصوقاً على خدوش وجهه وكدماته. إشتعلت النيران خلف الصخرة الكبيرة القائمة عند مدخل الكهف، وكان الصبي يراقب قِدراً من القهوة المغلية وقد إنغرزت في شعره الأحمر ريشتان من ذيل صقر حَوَّام. حين أقترب منه، كان يسدد إليّ عصاه قائلاً:

"ها! أيها الأبيض اللعين، هل تجرؤ على دخول معسكر زعيم الهنود الحمر، مُروِّع السهول؟"

"لا خوف منه الآن،" أنبأني بيل وهو يُشمر بنطاله ليدقق النظر في بعض الكدمات الظاهرة على قصبتيّ ساقيه. "لنتظاهر بأننا هنديان. ونجعل عرْض الممثل بافالو بيل يبدو وكأنه مناظر فلسطينية تَعرضها آلة الفانوس السحري في دار البلدية. أنا هانك العجوز ناصب الفخاخ، أسير زعيم الهنود الحمر. سوف تنسلخ فروة رأسي عند بزوغ الفجر. بحق جيرانيمو زعيم الهنود! باستطاعة ذلك الطفل أن يرفس رفساً."

لاح ذلك الصبي ، ولا مراء كمن يمضي أسعد أوقات حياته. أنسته متعة العسكرة داخل الكهف أنه هو نفسه أسير. أطلق عليّ من فوره إسم عين الثعبان، الجاسوس، مجاهراً بأني سوف أنشوى على الخازوق مع شروق الشمس حين يؤوب محاربوه من الهنود الحمر من طريق الحرب.

تناولنا بعدئذ العشاء؛ إكتظ فمه عن آخره بلحم الخنزير المقدد والخبز والمرق ثم طفق يتكلم. بدرت منه أثناء العشاء خطبة من قبيل:

"أنا مبسوط. لم أعسكر في الخارج أبداً من قبل؛ لكني ربيت أبوسوماً ذات مرة، وأكملتُ التاسعة في عيد ميلادي الأخير. أكره الذهاب إلى المَدرسة. أكلتْ الفئران الست عشرة بيضة كلها، بيضاً منقطاً من فرخة عمة جيمي تولبوت. هل هناك أي هنود حقيقيين في هذه الغابة؟ أود المزيد من المرق. هل تَحمل حركة الأشجار الرياح على الهبوب؟ كان عندنا خمسة جِراء. ما الذي يجعل أنفك أحمر كل هذا الاحمرار يا هانك؟ لدى أبي الكثير من النقود. هل النجوم ساخنة؟ ضرَبتُ إد ووكر بالسوط مرتين يوم السبت. لا أحب البنات. لا يُمْكنك مسك العلاجيم إلا بسلك. هل تُصْدر الثيران ضوضاء؟ لِم البرتقال مستدير؟ هل لديكما أَسرة لتناما عليها في هذا الكهف؟ آمِس موري عنده ستة أصابع. يستطيع الببغاء أن يتكلم لكن القرد والسمكة لا يَقدران. كم عدد ما يتطلب لعمل اثني عشر؟"

وكل بضع دقائق كان يتذكر أنه هندي أحمر مزعج فيلتقط عصا حوَّلها إلى بندقية ويمشي على أطراف أصابعه نحو فم الكهف كي يمد عنقه رانياً إلى الكشافة البيض الكريهين. ومن حين لآخر يبعث صيحة من صيحات الهنود إيذاناً بالحرب، صيحة ثبتت رعدة في قلب هانك العجوز ناصب الفخاخ. لقد أوقع ذلك الصبي الرعب في نفْس بيل منذ اللحظة الأولى.

"يا زعيم الهنود،" وجهت الخطاب إلى الطفل، "هل تحب أن تعود إلى بيتك؟"

"يووه، لماذا؟" سأل. "أنا لا ألهو أبداً في البيت. أكره الذهاب إلى المَدرسة. تعجبني العسكرة في الخلاء. لن ترجعني إلى البيت من جديد، أليس كذلك يا عين الثعبان؟"

"ليس في الحال،" أنهيت إليه. "سوف نمكث هنا في الكهف قليلاً."

"ماشٍ!" رد عليّ. "موافق. لم أستمتع هكذا أبداً طيلة حياتي."

توجهنا إلى الفراش في الحادية عشرة تقريباً. فرَشنا بعض البطانيات واللُحُف العريضة ووضعنا زعيم الهنود الحمر بيننا. ما ساورنا خوف أن يفر. أبقانا مستيقظين ثلاث ساعات، كان يقفز ويمد يده إلى بندقيته صارخاً في أذني وأذن بيل "صه يا صاحبي!" عندما توحي طقطقة غصن وهمية أو خشخشة ورقة شجر إلى مخيلته الصغيرة بالدنو المختلَس للعصابة طريدة العدالة. أدركني في النهاية نوم لم يَسلم من القلق، وحلمتُ أن قرصاناً ضارياً ذا شعر أحمر اختطفني وسلسلني في شجرة.

صحوت عند الفجر بالضبط على سلسلة من الولولات الرهيبة يرسلها بيل. لم تكن صيحات أو زعقات أو هتافات أو عواء مثلما تتوقع من طقم رجولي من الأعضاء الصوتية – ما كانت إلا صرخات مخيفة مهينة غير لائقة كتلك الصادرة من نساء يَبصرن أشباحاً أو يرقاناً. لشد شناعة أن يتناهى إلى المرء صوت رَجل قوي البنيان يائس النفس سمين الجسم وهو يصرخ عاجزاً عن كبح روحه داخل أحد الكهوف في الفجر.

وثَبْتُ لأتبين ما يجري. كان زعيم الهنود الحمر يَجلس على صدر بيل وإحدى يديه تندس ملتوية في شَعر بيل، والأخرى تُمسك مطواة حادة استخدمناها في تشريح لحم الخنزير المقدد. كان يحاول محاولة جادة واقعية أن يقتلع فروة بيل وفقاً للحكم الصادر ضده في الأمسية الفائتة.

إنتزعتُ المطواة من الطفل ثم دفعتُه إلى الإستلقاء مرة أخرى. غير أن روح بيل انكسرتْ منذ لحظتها. رقَد على جانبه من الفراش إلا أن جفناً لم يغمض له على الإطلاق مجدداً ما دام ذلك الصبي بصحبتنا. غلَبني النعاس هنيهة، ولكني افتكرتُ مع اقتراب طلوع الشمس أن زعيم الهنود الحمر صرح بأن مصيري الحرق على الخازوق عند الشروق. لم تدب فيّ العصبية أو الخوف؛ غير أني إعتدلتُ جالساً وأشعلتُ غليوني ثم اتكأتُ على إحدى الصخور.

"لِم صحوتَ يا سام في هذه الساعة المبكرة؟" سألني بيل.

"أنا؟" رددت. "آه، ينتابني ألم في كتفي، وحسِبتُ أن الجلوس سيريحه."

"كذاب!" رماني بيل بنظرة. "أنت خائف. مصيرك الحرق عند شروق الشمس، وقد ركَبك الخوف من أن يفعلها. وسوف يفعلها أيضاً لو تسنى له العثور على عود كبريت. يا للبشاعة يا سام. هل تظن أن أحداً سيدفع نقوداً لإعادة عفريت صغير مثله إلى بيته؟"

"طبعاً،" أجبته. "إن طفلاً مشاكساً من عينته هو بالضبط محل شغف الوالدين. إنهضا أنت والزعيم الآن لتجهزا الفطور بينما أصعد قمة هذا الجبل وأستكشف المنطقة."

إرتقيتُ ذروة الجبل الصغير وأجلتُ الطرف في الجوار المتاخم. وفي اتجاه 'صَمِت' توقعتُ أن أرى أصحاب الأراضي، فلاحي القرية الأشداء، وهم يتسلحون بالمناجل والمذاري ويَشُقون طرق الريف بحثاً عن الخاطفين الأخسة. غير أن ناظريّ لم يلتقيا إلا بمشهد طبيعي تشمله السكينة وتتخلله نقطة واحدة كانت في الحقيقة رَجلاً يفلح الأرض ببغل بني ضارب إلى الرمادي. لا أحد ينقب بالشِباك في قاع النهير؛ لا رُسل يندفعون هنا وهناك ليجلبوا أخباراً لا جديد فيها لوالدين حل بهما الذهول. ثمة آجام مثقَلة بوَسَن نعسان سادت ذلك الجزء من السطح الخارجي الظاهري لولاية ألاباما، جزء ترامى مكشوفاً على مرأى مني. حدَّثتُ نفسي، "ربما لم يكتشفوا بعد أن الذئاب حمَلت الحمَل الصغير الغض من الحظيرة. فلتعاونِ السماء الذئاب!" نبستُ وأنا أهبط الجبل لتناول الإفطار.

حين بلَغتُ الكهف، ألفيت بيل لاهث الأنفاس متقهقراً لِصْق أحد جوانب الكهف والصبي يهدد بتهشيمه بحَجَر في حجم نصف جوزة هند.

"حَطَّ حبة بطاطس حامية مغلية في ظهري،" شرح بيل، "ثم هرسها بقدمه؛ فلكمتُ أذنيه. معك مسدس يا سام؟"

أخذتُ الحجَر من الصبي وسويتُ الخلاف قليلاً. "سوف أنتقم منك،" توعد الطفل بيل. "لم يسبق لرَجل البتة أن ضرب زعيم الهنود الحمر إلا ودفع الثمن. خيرٌ لك أن تحترس!"

نفرغ من الإفطار ثم يُخرج الطفل من جيبه قطعة جلد تلتف حولها الأوتار ويمضي إلى خارج الكهف وهو يحلها.

"ماذا ينوي الآن؟" سأل بيل بلهجة تشي بقلق لا يعادله قلق. "ألا تظنه سيهرب، أليس كذلك يا سام؟"

"لا خوف من هذا،" أعْلمته. "لا يبدو كطفل يحب قعدة البيت. إنما يجب أن نرتب خطة للفدية. الظاهر أن إختفاءه لم يُحْدث إهتياجاً كبيراً في أرجاء 'صَمِت؛' علهم لم يكتشفوا غيابه بعد. ربما يظن أهله أنه يقضي الليلة مع العمة جين أو أحد الجيران. على أي حال سوف يلاحظون غيابه اليوم. لا بد أن ننقل الليلة رسالة إلى أبيه مطالبين بالألفين دولار لقاء عودته."

ورَد إلينا في تلك اللحظة صوت أشبه بصيحة حرب، مثلها مثل صيحة ربما تعالت من النبي داود عندما صرَع المحارب جليات بحَجَره. كان مقلاعاً جذبه زعيم الهنود الحمر من جيبه وشرَع يلفه حول رأسه.

سارعتُ بخفض رأسي ثم سمَعتُ ضربة مكتومة ثقيلة وصوتاً أقرب إلى التنهيدة يرتفع من بيل، كتلك المنبعثة من حصان تَرْفع عنه السرج. أصاب حجَر مستدير أسود في حجم البيضة بيل خلف أذنه اليسرى تماماً. أرخى جسمه بالكامل وسقط في النار على مقلاة تحمير تحوي مياه ساخنة لغسيل الأطباق. جررتُه إلى الخارج ورحت أصب على رأسه مياه باردة لمدة نصف ساعة.

سرعان ما جلس بيل وتحسس خلف أذنه قائلاً: "هل تَعلم يا سام الشخصية المفضلة لديّ في الإنجيل؟"

"هوِّن على نفسك،" أقول. "سوف تسترد وعيك بعد لحظات."

"الملك هيرودس" باح إليّ. "لن تذهب وتتركني هنا وحدي، أليس كذلك يا سام؟"

خرجتُ لأقبض على ذلك الصبي ورحت أهزه حتى قعقع نمشه.

"إن لم تُحسن سلوكك،" هددتُه، "سوف أُرجعك إلى البيت مباشرة. هل ستتأدب الآن أم لا؟"

"كنتُ فقط أمزح معه،" قال مقطب الجبين. "لم أقصد أن أؤذي هانك العجوز. لكن لِم ضربني؟ سأتأدب يا عين الثعبان إن لم ترسلني إلى البيت، وإن تركتني ألعب اليوم لعبة 'الكشاف الأسود.'"

"لا أعرف اللعبة،" أخبرته. "إختيار اللعبة متروك لك وللسيد بيل. فهو رفيقك في اللعب اليوم. سوف أغادر لبرهة قصيرة حتى أقضي بعض الأعمال. أدخل الآن وصالحه واعتذر عن جرحه، وإلا ستعود إلى بيتك فوراً."

جعلتُه هو وبيل يتصافحان ثم انفردتُ ببيل وأبلغتُه أني في سبيلي إلى بابيولر جروف – قرية صغيرة على بعد ثلاثة أميال من الكهف – لأقف ما وسعني على رد فعل 'صَمِت' على عملية الإختطاف. كذلك خلتُه من الأفضل أن أبعث يومئذ برسالة قاطعة النبرة إلى الأب دورسِت مطالباً بالفدية ومملياً عليه طريقة دفعها.

"تَعْرِف يا سام؟" قال بيل، "لقد وقفتُ إلى جانبك دون أن تطرف لي عين في أثناء الزلازل والنيران والفيضانات، خلال مباريات البوكر وهجمات الديناميت وغارات الشرطة وسرقات القطارات والزوابع. لم أفقد أعصابي قط إلا لمَّا خطفنا ذلك الطفل الشبيه بصاروخ يتحرك على ساقين. لقد نال مني. لن تتركني معه طويلاً، أليس كذلك يا سام؟"

"سأعود في ساعة من هذا الأصيل،" أخبرتُه. "لا بد أن تسلي الصبي وتهدئه إلى أن أرجع. والآن سنكتب الخطاب إلى دورسِت العجوز."

أحضرتُ أنا وبيل ورقة وقلم رصاص وانشغلنا بكتابة الخطاب على حين إختال زعيم الهنود الحمر ذهاباً وإياباً ببطانية ملفوفة حوله وهو يحرس فم الكهف. توسَّل بيل إليّ دامع العينين كي أجعل الفدية ألف وخمسمائة دولار بدلاً من ألفين. قال: "إنني لا أحاول الإنتقاص من الوجه المعنوي المعروف لعاطفة الأبوة لكننا نتعامل مع بشر، وليس من طباع البشر أن يتخلى أي شخص عن ألفين من الدولارات من أجل قطعة سِنور بري منمَّش يزن أربعين رطلاً. أنا مستعد للمخاطرة عند ألف وخمسمائة دولار. بإمكانك أن تُقيد الفرق على حسابي."

وهكذا، رغبة في إراحة بيل، وافقتُ على طلبه، وتعاونا على كتابة خطاب جرى على هذا النحو:

(إبينيزر دورسِت المحترم،

إبنك في حوزتنا، أخفيناه في مكان ناء عن ′صَمِت.′ لا جدوى من أن تحاول أنت أو أمهر المخبرين إيجاده. الشروط الوحيدة على الإطلاق لإرجاعه إليك هي التالية: نطالب بألف وخمسمائة دولار ذات فئة كبيرة في مقابل عودته؛ ينبغي ترك الأموال الليلة عند منتصف الليل في نفس البقعة ونفس العلبة المتضمنة ردك – كما سيتم شرحه فيما يلي. لو وافقتَ على هذه الشروط، أرْسِل ردك كتابةً مع رسول منفرد في الثامنة والنصف الليلة. بعد جسر أوِلْ كريك، في الطريق إلى بابيولِر جروف، تنهض ثلاث أشجار ضخمة تَبعد الواحدة عن الأخرى نحو مائة ياردة بالقرب من سياج حقل القمح على الجانب الأيمن. سوف يجد أسفل عمود السياج، أمام الشجرة الثالثة، علبة صغيرة من الكرتون.

سوف يضع الرسول الرد في هذه العلبة ثم يعود أدراجه تواً إلى ′صَمِت.′

لو حاولتَ الإقدام على أية حركة خيانة أو قصَّرتَ في الإذعان إلى طلبنا كما هو منصوص عليه، لن ترى ابنك بعينيك مرة ثانية.

وإن دفعتَ الأموال مثلما طولبتَ، سوف يرجع إليك سالماً معافى في غضون ثلاث ساعات. إن هذه الشروط نهائية، وإذا لم تَقبلها، لن تتم أية محاولة أخرى للاتصال بك.)

(رَجلان يائسان)

عنونتُ هذا الخطاب إلى دورسِت ووضعتُه في جيبي. وفيما كنت أهم بالانصراف، أقبل إليّ الطفل قائلاً:

"يووه يا عين الثعبان، قلتَ إني أَقدر أن ألعب لعبة ′الكشاف الأسود′ أثناء غيابك."

"إلعبها طبعاً،" أكدت. "سوف يلعب السيد بيل معك. ما هي تلك اللعبة؟"

"أنا الكشاف الأسود،" أخبرني زعيم الهنود الحمر، "ولا بد أن أمتطي حصاني إلى الحاجز الدفاعي حتى أُحذر المستعمرين من مجيء الهنود الحمر. مَلِلتُ لعب دور الهندي بنفسي. أريد أن أكون الكشاف الأسود."

"حسناً،" وافقت. "تبدو لي لعبة غير مؤذية. أظن أن السيد بيل سيعاونك على صد الهمج المزعجين."

"ماذا سأفعل؟" إستفسر بيل وهو يرمق الطفل بعين تنم عن ريبة.

"أنت الحصان،" تفوّه الكشاف الأسود. "إنزل على يديك وركبتيك. كيف لي أن أقصد الحاجز الدفاعي بدون حصان؟"

"من الأفضل أن تَشغل انتباهه،" قلت، "إلى أن تسير الخطة. فُكَّهَا."

يهبط بيل على أطرافه الأربعة كلها، وتتراءى في عينيه نظرة أرنب واقع في الفخ.

"ما هي المسافة حتى الحاجز الدفاعي يا فتى؟" سأل بصوت أجش النبرة.

"تسعون ميلاً،" أجاب الكشاف الأسود. "ولا بد أن تُقطع روحك حتى تصل هناك في الوقت المحدد. شيييي هيا!"

نط الكشاف الأسود على ظهر بيل ووكز جنبه بكعبيه.

"بحق السماء،" نطق بيل، "عُد سريعاً يا سام، في أسرع وقت ممكن. ليتنا لم نزد الفدية عن ألف. اسمع، كُف عن رفسي وإلا سأَقوم وأُمَوِّتك من الضرب."

سِرت إلى قرية بابيولِر جروف وتسكعتُ حول مكتب البريد والمتجر متبادلاً أطراف الحديث مع ريفيين أجلاف وفَدوا لمقايضة بضائعهم. أخبرني رَجل أطال سبلة كثيفة أنه سمع أن ’صَمِت‘ تموج بانزعاج لا حد له بعد أن تاه صبي إبينيزر دورسِت الأكبر أو أُختطف. ذلك كل ما رغبتُ في الإلمام به. ابتعتُ بعض التبغ لتدخينه وندت عني إشارة عابرة إلى سعر اللوبياء ثم وضعتُ خطابي خفية في صندوق البريد لأرحل عن المكان. قال مدير مكتب البريد إن الساعي سيعرج على المكتب في خلال ساعة لكي يأخذ الخطابات إلى ’صَمِت.‘

عندما رجعتُ إلى الكهف، لم أعثر على بيل ولا الصبي. فتشتُ في المنطقة المُحْدقة بالكهف، وخاطرتُ بإطلاق نداء أو اثنين بصوت تردد بين العادي والمرتفع لكني لم أحظ بجواب.

وهكذا أشعلتُ غليوني واتخذتُ مجلسي على منحدَر تكسوه الطحالب في انتظار التطورات.

انقضت نحو نصف ساعة ثم نمى إلى أذنيّ حفيف الشجيرات وترنَح بيل صوب الخلاء الصغير الواقع أمام الكهف. ومن خلفه جاء الطفل وهو يطأ بقدميه في رفق كما يليق

بكشاف، وقد حسَر وجهه عن ابتسامة واسعة. توقف بيل وخلع قبعته ثم مسح وجهه بمنديل أحمر. توقف الطفل قرابة ثماني أقدام ورائه.

"سام،" بادرني بيل، "أظنك ستحسبني خائناً غير أني لم أتمالك نفسي. إنني شخص بالغ ذو نزعات رجولية وعادات للدفاع عن النفس، لكن يأتي وقت تخفق فيه كل أنظمة الأنانية والغلبة. لقد راح الصبي. أرسلتُه إلى بيته. كل شيء لاغ. شهِدتْ الأيام الخالية شهداء عانوا الموت بدلاً من النزول عن الكسب الحرام متعتهم. لم يَخضع أحدهم إطلاقاً لمثل ما خضعتُ له من تعذيب خارق للطبيعة. لقد حاولتُ أن أظل مخلصاً لِما وضعناه من بنود للسلب؛ إنما لكل شيء حد."

"ماذا جرى يا بيل؟" سألته.

"لقد ركبني،" كاشفني بيل، "التسعين ميلاً حتى الحاجز الدفاعي دون أن يستثني بوصة واحدة. وبعد إنقاذ المستعمرين، أعطاني شوفاناً. الرمل ليس بديلاً سائغاً عنه. أرغمتُ بعدئذ لمدة ساعة على أن أحاول أن أشرح له سبب خلو الثقوب من أي شيء، كيف يمكن للطريق أن يمتد في كلا الاتجاهين، ما الذي يجعل العشب أخضر اللون. صدقني يا سام، لا طاقة للبشر باحتمال كل هذا. أخذتُ بتلابيبه وجررتُه هابطاً الجبل. ركل ساقيّ في الطريق فاسودتا وازرقتا من الركبتين حتى أسفلهما؛ سوف أضطر إلى أن أكوي عضتين أو ثلاثاً على إبهامي ويدي."

"لكنه راح" – واستأنف بيل – "راح إلى بيته. أريته الطريق إلى 'صَمِت' ورفستُه رفسة قرَّبته منها نحو ثماني أقدام. آسف على ضياع الفدية؛ ولكن إما أن تضيع وإما أن ينتهي بيل دريسكِل إلى مستشفى المجاذيب."

لهث بيل سريعاً بأنفاس منقطعة، ومع ذلك طلت من عينيه نظرة دالة على طمأنينة يتعذر وصفها، ورضا تنامى على ملامحه الوردية.

"لَم يَمرض أحد من أفراد عائلتك بالقلب، أليس كذلك يا بيل؟" سألته.

"لا،" رد بيل، "لا شيء عضال عدا الملاريا والحوادث. لماذا؟"

"اِستدِر إذن وتطلع خلفك،" قلتُ.

إلتفت بيل وارتطمت عيناه بالصبي فاصفرّ وجهه وإذا به ينحط على الأرض ليبدأ باقتلاع العشب والعيدان الصغيرة دون أدنى هدف. ولمدة ساعة خشيت أن يَذهب عقله. ثم أبلغتُه بأن خطتي تقضي بتنفيذ المهمة بأكملها على الفور وأننا سنحصل على الفدية ونرحل بها بحلول منتصف الليل لو وافق دورسِت العجوز على عَرْضنا. وهكذا إستجمع بيل قواه بما يكفي ليمنح الطفل ما يشبه الإبتسامة الباهتة ووعداً بأن يلعب معه دور الروسي في حرب يابانية بمجرد أن يشعر بالقليل من التحسن.

وضعتُ خطة لقبض تلك الفدية بدون التعرض لخطر القبض عليّ بفعل مكائد مضادة من المتوقع أن يستحسنها المختطفون المحترفون. إستقرت بالقرب من سياج الطريق الشجرة مكان ترك الرد – والأموال في وقت لاحق. طوقتْها من كل الجوانب حقول شاسعة جرداء. لو أن زمرة من موظفي الأمن ترصد حضور أي شخص من أجل الرسالة، فبمقدورهم إبصاره من مسافة بعيدة وهو يجتاز الحقول أو يسير في الطريق. لكن لا وألف لا! حانت الثامنة والنصف فاعتليت تلك الشجرة واختبأتُ كعلجوم الشجر في إنتظار قدوم الرسول.

وفي الوقت المحدد تماماً، طوي صبي ناقص النمو الطريق بدراجة. حدد موضع العلبة الكرتون أسفل عمود السياج ثم دس فيها بيد حذرة قطعة ورق مطوية. ركب الدراجة ثانية ليبتعد راجعاً إلى 'صَمِت.'

انتظرتُ ساعة ثم استنتجتُ أن الموقف لا تشوبه الخيانة. إنزلقتُ على الشجرة وأخذتُ الرسالة. تسللتُ بحذاء السياج حتى انتهيت إلى الغابة وعدت إلى الكهف في غضون نصف ساعة أخرى. فضضتُ الرسالة ودنوت من المشكاة لأقرأها على مسمعيّ بيل. إنكتبتْ بقلم حبر وخط يد يستعصي على القراءة، وخلاصتها هي التالي:

(إلى الرَجلين اليائسين،

أيها السيدان: لقد تلقيتُ خطابكما اليوم بالبريد فيما يتعلق بالفدية مطلبكما مقابل عودة إبني. وأظن أنكما تغاليان قليلاً في طلباتكما، وأنا بموجب هذه الرسالة أَعرض عليكما مقترَحاً مضاداً أميل إلى الإعتقاد أنكما ستبديان موافقتكما عليه. أحضِرا جوني إلى البيت وادفعا لي مائتيّ وخمسين دولاراً نقداً، وسوف أَقبل أن آخذه من بين أياديكما.

خيرٌ لكما أن تجيئا ليلاً، فالجيران يعتقدون أنه تائه، ولا يسعني أن أتحمل مسؤولية ما سيفعلونه بأي شخص يرونه وهو يعيده. مع وافر الإحترام،

إبينيزر دورسِت)

"بحق قراصنة ميناء بينزانز العظماء!" نبستُ؛ "مِن بين كل الوقحين – "

غير أني ألقيت لمحة إلى بيل وخامرني التردد. نطقتْ عيناه بنظرة إستغاثة لم أشهدها قط على وجه أبكم أو همجي ناطق.

"سام،" خاطبني، "ما هي قيمة مائتا وخمسون دولاراً في النهاية؟ لدينا المال. ليلة واحدة أخرى مع هذا الطفل ستقذف بي إلى سرير في بيمارستان المجانين. وعلاوة على أن السيد دورسِت رَجل مهذب بكل ما في الكلمة من معنى، أخاله مبذراً لتقديمه مثل هذا العرض السخي. لن تدع الفرصة تفوتنا، أليس كذلك؟"

"أقولك الحقيقة يا بيل،" صارحته، "إن هذا الحَمَل العزيز الصغير أثار أعصابي أنا الآخر. سوف نأخذه إلى بيته وندفع الفدية ثم نلوذ بالفرار."

صحبناه ليلتئذ إلى بيته. أقنعناه بالذهاب بعد أن أخبرناه بأن أباه ابتاع له بندقية بدعامة فضية وزوجين من أحذية ناعمة الجلد كأحذية الهنود الحمر، وأننا سنصطاد الدببة في اليوم التالي.

طرقنا باب إبينيزر الأمامي في تمام الثانية عشرة. وفي نفس اللحظة التي كان يجب أن أسرق فيها ألف وخمسمائة دولار من العلبة الراقدة أسفل الشجرة وفقاً للعرْض الأصلي، كان بيل يعد مائتيّ وخمسين دولاراً في يد دورسِت.

عندما اكتشف الطفل أننا سنتركه في البيت، أطلق فجأة ولولة خليقة بالأرغن البخاري وتشبث بساق بيل بإحكام شأنه شأن العَلَقَة. نزَعه أبوه بالتدريج كمن ينزع لزقة مليئة بالمسام.

"حتام تستطيع الإمساك به؟" سأله بيل.

"لم أعد قوياً كما كنتُ،" رد دورسِت العجوز، "لكن أظنني أستطيع أن أعِدك بعشر دقائق."

"كافية،" قال بيل. "في خلال عشر دقائق سأَعبر الولايات المركزية والجنوبية والغربية الوسطى وأركض بمنتهى الخفة في اتجاه الحدود الكندية."

ورغم الظلمة المخيمة، ورغم بدانة بيل، ورغم مهارتي في العدو، سبَقني بمسافة ميل ونصف لا ينقصها شبر خارجاً من 'صَمِت' قبل أن أقوى على اللحاق به.



- إسم القصة : كيف سطا السيد هوجن على البنك

- تأليف : جون شتاينبك

- ترجمة : مصطفى مدثر

- نبذة عن الكاتب :

جون ستاينبيك (إنجليزي: John Steinbeck) كما يلفظها الأمريكيون ،(٢٧ فبراير ١٩٠٢ - ٢٠ ديسمبر ١٩٦٨) كاتب أمريكي مبدع، من أشهر أدباء القرن العشرين. اشتهر بقصصه حول الحرب العالمية الثانية.

كيف سطا السيد هوجن على البنك

في يوم السبت السابق لعطلة عيد العمل للعام ١٩٥٥ ، وفي التاسعة وأربع دقائق ونصف الدقيقة صباحاً، سطا السيد هوجن على البنك.

كان في سنه الثانية والأربعين، متزوجاً ووالداً لصبي وصبية هما جون وجون، إثنا عشر وثلاثة عشر عاماً على التوالي. كان ‘سم السيد هوجن هو جون والسيدة هوجن كان إسمها أيضاً جون ، ولكن ولأنهما تناديا بماما وبابا فقد حررا اسميهما خالصين للطفلين الذين أُعتبرا غاية الذكاء بالنظر لعمريهما حين قفز كل منهما فصلاً دراسياً.

عاش آل هوجن في العنوان ٢١٥ شارع شرق بابل ، في منزل سقفه بني القرميد مشذّبٌ باللون الأبيض. كانا في الحقيقة منزلان. وكان رقم ٢١٥ هو المقابل لعمود الإضاءة، ذلك الذي به شجرة ضخمة في فنائه، شجرة بلوط أو دردار، وتعد الأضخم في كل الشارع وربما في المدينة كلها.

كان جون و جون في سريريهما وقت السطو، لأن اليوم هو السبت.

عند التاسعة وعشر دقائق صباحاً كانت السيدة هوجن تعد كوب الشاي بنفس الطريقة التي ظلت تعده بها دائماً. بينما السيد هوجن كان قد ذهب للعمل مبكراً.

شربت السيدة هوجن شايها بتؤدة، ساخناً حارقاً، وقرأت حظها في أوراق الشاي. كانت في قاع الكوب سحابة ونجم ذو خمسة أطراف ، إثنان منهما قصيران ، تماماً في حوالي التاسعة وإثني عشر دقيقة. أي بعد اكتمال السطو.

الطريقة التي إتبعها السيد هوجن في السطو على البنك كانت غاية في الإثارة. فهو قد أولى الأمر قدراً كبيراً من التفكير ولأمدٍ طويل. لكنه لم يناقشه مع أحد. فقط يقرأ الصحيفة ويستشير نفسه. ولكنه توصل، لرضاه التام، لأن الناس يذهبون لكثير من المشقة في السطو على البنوك ما يدخلهم في الهدلة. كان يفكر دائماً أن الأبسط هو الأحسن. وأن الناس يقحمون أنفسهم في كثير من الاضطراب والفوضى والسلوك الخالي من الأخلاق. وإن

لم تفعل ذلك، إن طرحت الشعوذة والدجل من تخطيطك، فإن السطو على بنك يمكن أن يكون مشروعاً سديداً نسبياً، إذا تغاضينا بالطبع عن نوعية الحوادث غير محتملة الحدوث. ولكن، وعلى أي حال، فإن الحوادث يمكن أن تحدث لرجل يعبر الطريق أو أي شيء!

وبما أن طريقة السيد هوجن سارت بشكل جيد فإنها أثبتت أن تفكيره كان سديداً. لقد فكر كثيراً في تأليف كتاب صغير كمرشد إلى التكنيك الذي إتبعه، وكانت على أيامها، كتب (كيف تفعل كذا...) موضة صارخة. بل هو توصل لصياغة الجملة الأولى في كتابه وتقرأ: لكي تنجح في السطو على بنك دع كل ما هو شعوذة وهنكي بانكي خارج تخطيطك.

لم يكن هوجن مجرد موظف في بقالة السيد فتوشي. كان أشبه بمدير. بل كان قابضاً على كل أمر حتى أنه استأجر وطرد الصبي الذي يقوم بخدمة التوصيل للمنازل بعد نهاية يومه الدراسي. وقام أيضاً بكتابة طلبيات مع الباعة ، أتم ذلك فعلاً والسيد فتوشي موجود بالمحل، يحادث، ربما، أحد الزبائن.

- افعلها يا جون. كان فتوشي يصيح به ثم يهز رأسه قائلاً للزبون:

- جون يعرف كل شيء. لقد كان معي- كم سنة لك معي يا جون؟

- ست عشرة سنة.

- ست عشرة سنة؟ إنه يعرف البزنيس مثلي تماماً. يا أخي إنه حتى يقوم بتوريد المال للبنك.

وقد كان! فكلما سنح له العمل، وتوفر الوقت، كان السيد هوجن يمضي إلى مخزن المحل المطل على زقاق. يخلع مئزر العمل ويرتدى معطفه وربطة عنق، ثم يمضى عائداً عبر المحل إلى مكان آلة النقود ، حيث تكون الشيكات والأوراق المالية جاهزة داخل دفتر البنك الملفوف بشريط مطاطي. بعد ذلك يغادر جون للمبنى التالي لمبنى المحل ، يقف على نافذة الصراف ليسلم الشيكات والأوراق المالية للسيد كاب ، ويقضى معه وقتاً في الثرثرة. وحال استرداده دفتر البنك يتأكد من الإدخال الذي حدث فيه ويعيد وضع الرباط المطاطي حول الدفتر. يدخل من الباب التالي راجعاً إلى بقالة فتوشي ، معيداً وضع الدفتر داخل آلة

النقود ثم يواصل إلى مخزن. يخلع معطفه وربطة عنقه. يرتدي مئزره ويرجع إلى عمله في البقالة. وإن لم يكن هناك طابور أمام صراف البنك فالأمر، بما فيه الثرثرة، لا يأخذ منه ذلك أكثر من خمس دقائق.

كان السيد هوجن رجلاً يلاحظ الأشياء. وعندما حان وقت السطو على البنك وضعته هذه الخصلة في المكان الجيد. كان قد لاحظ، مثلاً، أن الأوراق المالية من الفئات الكبيرة، توضع في الدرج تحت طاولة الخدمة. ولاحظ الأيام التي يكون فيها عدد الأوراق الكبيرة كبيراً. فيوم الخميس هو يوم قبض الرواتب في الفرع المحلي للشركة الأمريكية للمعلبات، على سبيل المثال، ولذا سيكون هناك مزيد من الأوراق المالية الكبيرة. وفي بعض أيام الجمع يقوم الناس بسحب المزيد من المال ليغطي مصاريفهم في عطلة نهاية الأسبوع. لكن الفرق بين الخمائس والجمع وصباحات السبوت قد لا يصل لألف دولار. السبت، حقيقةً، ليس أحسن الأيام لأن الناس لا يبكّرون في الحضور للسحب والبنك يغلق أبوابه عند الظهيرة. لكن السيد هوجن أعاد التفكير وتوّصل لأن السبت السابق لعطلة نهاية الأسبوع ، في الصيف، هو أحسن الأيام قاطبة. فالناس يكونون على سفر وإجازات وأهل وأقارب يزورون.. والبنك يكون مغلقاً يوم الإثنين.

فكّر في هذا الأمر ونظر. وبات مؤكداً لديه أن درج الأوراق المالية في صباح يوم السبت السابق لعطلة عيد العمل يحتوي ضعف المبالغ التي يحتويها في الأيام الأخرى. عرف ذلك ورآه عندما فتح السيد كاب درج الأوراق.

فكر السيد هوجن في ذلك الأمر طوال تلك السنة. ليس كل الوقت طبعاً ولكن كلما سنحت له سانحة. كانت تلك سنة عامرة بالمشاغل، أيضاً. كانت السنة التي أصيب فيها جون و جون بالنُكاف، أبو عديلات. وخلعت السيدة هوجن أسنانها وتم تركيب طاقم بديل لها. تلك السنة كان السيد هوجن سيد محفله الماسوني بما يستغرقه ذلك من وقت. أيضاً مات في لاري شيلد وكان هذا أخاً للسيدة هوجن فتمت مراسم دفنه من منزل آل هوجن في ٢١٥ شارع شرق مابل.

كان لاري قبل أن يموت أعزباً ، وكانت له غرفة في دار باين تري. كان يلعب البلياردو كل أمسية. ويعمل في سيلفر داينر، ولأنهم كانوا يغلقون أبوابهم في التاسعة مساءً فإن لاري كان

يذهب ليلعب البلياردو في محل لوي لمدة ساعة. ومع كل هذه العربدة كانت المفاجأة أنه ترك ما يكفي من المال بحيث تبقى ألف ومائتان دولار بعد دفع تكاليف دفنه. والأكثر إدهاشاً أنه ترك وصية لصالح السيدة هوجن ، وكتب البندقية ذات الماسورتين ومن عيار ١٢ للسيد جون هوجن الصغير. فرح السيد هوجن لذلك رغم أنه لم يمارس الصيد يوماً وقام بتخزين البندقية خلف دولاب الحمام حيث كان يواري الأشياء من جون الصغير. لم يكن يرغب في أن يتعاطى أطفاله مع البنادق ولم يشتر أي خزنة مقذوفات. ومن تلك الألف ومائتين اشترت السيدة هوجن طقم أسنانها كما إشترت دراجة لجون الإبن. ولجون الإبنة إشترت شنطة حمل دمي ودمية تمشي وتتحدث مع ثلاثة فساتين غيارات وحقيبة صغيرة بطقم مكتمل لمكياج لعب أطفال. رأى السيد هوجن أن هذه الأشياء قد تفسد الأطفال ، ولم يبدُ ان ذلك صحيحاً منه لأن نمرهم في المدرسة ظلت جيدة كما هي وتحصّل جون على وظيفة توزيع صحف. كانت سنة عامرة بالمشاغل حقاً. وأراد الأبناء جون وأخته أن يسجلا في مسابقة (أنا أحب أمريكا) القومية لمقدمها و. د. هيرست. ورأى السيد هوجن أن ذلك شططاً لكنهما وعدا بأن يفعلا ذلك أثناء إجازة الصيف فوافق، أخيراً.

لم يلاحظ أحد أي شيء مختلف في السيد هوجن. صحيح أنه ظل يفكر في السطو على البنك ولكنه يفعل ذلك في الأمسيات فقط ، حين لا يكون هناك إجتماع لمحفلة ماسونية أو فيلم ، لذا فإن الأمر لم يتحوّل عنده لوسواس ولم يلاحظ الناس أي تغيير عليه.

ولأنه درس كل شيء بعناية فائقة ، فعند حلول عطلة عيد العمل لم تجده غير مستعدٍ أو عصبي.

لقد كان ذلك الصيف حاراً. وموجات الحر أطول من المعتاد.

كان يوم السبت هو نهاية أسبوعين من حر متصل. إحتد الناس منه وتاقوا للخروج من المدينة رغم أن الريف لم يكن أقل حراً.

آل هوجن لم يفكروا في هذا. ما أثار الطفلين هو أن مسابقة كتابة المقال ضمن برنامج (أنا أحب أمريكا) شارفت على الإنتهاء واقترب موعد إعلان أسماء الفائزين بها. والجائزة كانت رحلة لمدة يومين لواشنطون دي سي ، مدفوعة التكاليف بالكامل و ب(تظبيطات) كاملة -

غرفة في فندق، ثلاث وجبات في اليوم، فسح مجانية بالليموزين- وليس ذلك للفائز وحده بل لمرافق معه- كذلك زيارة للبيت الأبيض ومصافحة الرئيس، كل شيء حسن.

وكان السيد هوجن يرى أن طفليه قد رفعا سقف آمالهما أكثر من اللازم وقالها لهما:

- عليكم التحضير لخسارة المسابقة. من المحتمل أن هناك آلاف وآلاف المتقدمين للمسابقة. فإذا رفعتما سقف آمالكما قد يفسد ذلك فصل الخريف. لا أريد أي وجوه طويلة في هذا البيت بعد إنتهاء المسابقة.

وقال لزوجه السيدة هوجن: .

- لقد كنت ضد هذا من البداية.

حدث ذلك في الصباح الذي رأت فيه السيدة هوجن نصب واشنطون التذكاري في قعر كوب الشاي لكنها لم تخبر بذلك سوى روث تايلر، زوجة بوب تايلر. كانت روثي قد أحضرت معها أوراق اللعب وقرأتهم في مطبخ آل هوجن لكنها لم تجد أية رحلة! فأخبرت متأثرة السيدة هوجن أن الأوراق تخيب في أغلب الأحيان. فمثلا عندما حدثتها الأوراق عن أن السيدة وينكل ذاهبة في رحلة إلى أوربا في ظرف أسبوع ، حدث العكس حيث وقفت شوكة حوت في حلق وينكل فخنقتها حتى ماتت... تساءلت روثي، كأنها تفكر بصوت مسموع، عن الرابطِ بين شوكة الحوت والرحلة عبر المحيط إلى أوربا.. قالت:

- يجدر بنا تأويل هذه الأمور بشكل صحيح.

كذلك خمنت روثي بأنها ترى من خلال الورق مالاً قادماً لآل هوجن. فأوضحت لها السيدة هوجن:

- المال وصل سلفاً من المسكين لاري.

فقالت روثي:

- لابد أنني خلطت أوراق الماضي والحاضر معاً. ثم أضافت:

_ يجدر بك تأويل هذه الأمور بشكل صحيح.

إنبثق يوم السبت. قال التقرير المناخي الباكر على الراديو: إستمرار الحر والرطوبة. أمطار خفيفة ومتفرقة ليلة الأحد وصباح الإثنين.

قالت السيدة هوجن لزوجها:

- وما هو الغريب في الأمر؟ إنه يوم عطلة عيد العمل!

قال السيد هوجن:

- إنني سعيد بحق أننا لم نخطط لشيء.

ثم أكمل أكل البيضة وقش الصحن بباقي قطعة الخبز.

قالت السيدة هوجن:

- هل وضعت القهوة في القائمة؟

أخرج الورقة من جيبه وراجعها

- نعم. إنها هنا. قهوة!

- لقد أتتني فكرة مجنونة أنك نسيت أن تكتبها. قالت السيدة هوجن. ثم واصلت:

- سنذهب أنا وروثي لحضور إحتفال طائفة المذبح بعد الظهر. سيكون في منزل السيدة ألفريد دريك. أنت تعلم بأنهم جديدون في المدينة. أتحرق حقاً لمعاينة متاعهم!

- لا شيء يذكر، إنهم يشترون منا. فتحوا حساباً عندنا الأسبوع الماضي. قال السيد هوجن ثم سأل:

- هل زجاجات الحليب جاهزة؟

- إنها في الرواق.

وقبل أن يلتقط الزجاجات نظر السيد هوجن لساعته وكانت تشير لخمس دقائق قبل الثامنة.

إلتفت وهو على وشك نزول العتبات ونظر خلال الباب المفتوح للسيدة هوجن فقالت له:

_ هل تريد شيئاً يا حبيبي؟

رد عليها:

- لا. وكررها ثانية.

- لا. ثم مشى نازلاً العتبات.

سار إلى الناصية وإستدار يميناً في شارع سبونير، الشارع الذي يصب في شارع رئيسي بعد مربوعين. وعند ذلك يقبع محل فتوشي ، وفي الملف منه يقع البنك والزقاق بجوار البنك.

إلتقط السيد هوجن نشرة إعلانية ملقاة أمام باب البقالة وفتح الباب.

مشى عبر المحل ، فتح الباب المؤدي للزقاق ونظر إلى الخارج. حاول قِطٌ أن يفرض دخوله عبر الباب لكن السيد هوجن منعه بقدمه وأغلق الباب، خلع معطفه وارتدى مئزره الطويل ، أحكم رباطيه خلف ظهره ثم أحضر المكنسة من وراء طاولة الخدمة ، كنس خلف الطاولة وكب كل القاذورات في إناء جمع الزبالة ، مشى عبر البقالة وفتح الباب المؤدي للزقاق. كان القط قد إختفى. أفرغ محتويات الإناء في برميل القاذورات طارقاً الإناء بحذق ليخلّصه من قطعة خس ظلت عالقة. ثم عاد إلى داخل المحل وإشتغل على مسودة الطلبية القادمة.

حضرت السيدة كلوني وطلبت نصف رطل من لحم الخنزير المقدّد. قالت إن الجو حار فوافقها السيد هوجن :

- الأصياف تزداد حراً

قالت السيدة كلوني فجأة :

- كيف حال السيدة خلف المواعيد؟

- بخير. قال هوجن. وستذهب لإحتفال الطائفة.

_كذلك أنا. أتطلع لرؤية أثاثاتهم. ثم خرجت.

وضع السيد هوجن قطعة تزن حوالي خمسة أرطال من لحم الخنزير المقدّد في قطّاعة الشرائح، ثم نشر الشرائح على ورق شمعي وغطاها بنفس نوع الورق ووضعها في خزانة التبريد.

في التاسعة إلاّ عشر دقائق ذهب السيد هوجن نحو أحد الرفوف ونحّى جانباً صندوق مكرونة لينزل صندوق كورن فليكس من جنبه ، قام بتفريغ محتوياته في الحوض الصغير الملحق بخزانة التبريد.

وبخنجر موز قطع قناع ميكي ماوس المرسوم على ظهر صندوق الكورن فليكس ثم أخذ ما تبقى من الصندوق وكسحه بالماء في المرحاض ثم رجع إلى المحل واستأصل شريطاً من قماش ، ربط طرفيه بعد تمريرهما من ثقبين على جانبيّ القناع ثم نظر لساعته.

كانت فضية وكبيرة. ماركة هاميلتون ذات يدين سوداوين تشيران لدقيقتين قبل التاسعة.

ربما شكلت الأربع دقائق التالية كل زمنه في التوتر والعصبية، على الإطلاق.

في التاسعة إلاّ دقيقة، أخذ المكنسة وخرج يكنس رصيف المشاة. كنسه بسرعة فائقة. وبيما هو يراقب ، في الحقيقة، فتح السيد وارنر أقفال البنك.

ألقى السيد هوجن تحية الصباح على السيد وارنر. بعدها بثوانٍ برز موظفو البنك الأربعة خارجين من المقهى. رآهم السيد هوجن عبر الشارع وحيّاهم إشارةً فردوا تحيته. وبعد الإنتهاء من الطوار دخل إلى المحل ، وضع ساعته على عتبة صغيرة تحت أزرار الأرقام في آلة النقود ثم أطلق آهةً عميقة جداً. كانت نفَساً عميقاً أكثر منها تنهيدة. فهو يعلم أن السيد وارنر قد فتح الخزنة الآن وسيكون حاملاً أطباق الكاش إلى شباك الصراف. نظر السيد هوجن لساعته ترقد على عتبة آلة النقود.

وقف السيد كينورزي عند مدخل المحل ثم هز رأسه بطريقة مهمة واستأنف سيره. أطلق السيد هوجن تنفسه بطيئاً وتدريجياً ، مشت يده اليسرى خلف ظهره فجذبت رباط مئزره وزحفت بعدها اليد إلى ساعته حيث علامة الدقيقة الرابعة ، فغطتها.

فتح السيد هوجن درج الحسابات الجارية وأخرج منه مسدس المحل : آيفر جونسون عيار ٣٨ فضي اللون. تحرك بسرعة إلى المخزن. طرح عنه مئزره وارتدى معطفه ووضع بداخل جيبه المسدس ثم حشر قناع ميكي ماوس تحت المعطف بحيث لا يُرى.

فتح باب الزقاق وتطلع يمنة ويسرى ثم خطا خارجاً بسرعة تاركاً الباب موارباً بعض الشيئ. إنها ستون خطوة إلى حيث يدخل الزقاق مع الشارع الرئيسي .. توقف وتطلع نزولاً وصعوداً.

أدار رأسه نحو قلب الشارع لحظة مروره بنافذة البنك. وعند الباب المتأرجح للبنك أخرج القناع من تحت معطفه ووضعه على وجهه. كان السيد وارنر يدخل مكتبه لتوه مولياً ظهره لباب البنك. وكانت هامة رأس ويل كاب ظاهرة للعيان من خلال شبكة نافذة الصراف.

تحرك السيد هوجن بسرعة وبلا ضوضاء حول نهاية طاولة الخدمة ، داخلاً قفص الصراف والمسدس في يده اليمنى الآن. وعندما أدار ويل كاب رأسه، رأى المسدس فتجمّد. غطى السيد هوجن بإبهام قدمه تحت زناد اطلاق انذار القاعة. وأشار بمسدسه لويل كاب فانبطح سريعاً على الأرض. فتح السيد هوجن درج النقود وبحركتين خاطفتين كدّس الأوراق الكبيرة فوق بعضها من أطباقها. وأتى بحركة كالجلد بالسوط بتحريك المسدس نحو ويل بما يفهم منها هذا أن ينقلب معطياً وجهه للحائط، ففعل.

تراجع السيد هوجن حول طاولة العد وخلع قناعه عند باب البنك وفي مروره بنافذة البنك أدار رأسه ناحية قلب الشارع. دخل الزقاق و مشى حثيثاً إلى مخزن المحل ودخله. كان القط قد دخل هو الآخر وجلس يرقبه من فوق كومة من كراتين المعلبات.

ذهب السيد هوجن إلى دورة المياه و مزّق القناع وأجراه مع الماء الدافق ، خلع معطفه وارتدى مئزر العمل ثم ألقى نظرة لداخل المحل واتجه إلى درج الحسابات الجارية حيث رجع المسدس إلى مكانه.

ضرب السيد هوجن زرار (لا بيع) ثم وزع، وهو رافعٌ الدرج الأعلى، المال المسروق تحت الطبق الأعلى ثم جذب الطبق إلى الأمام واغلق آلة النقود وحينئذ فقط نظر إلى ساعته فكانت ٢/٠٧١:٩.

علا الضجيج متدفقاً من البنك حين كان يحاول إخراج القط من مخزن المحل. أخذ مكنسته وخرج إلى الرصيف. سمع كل شيء وأدلى برأيه حين سُئل عنه. قال إن (الشخص) لن يفلت. فأين يمكنه أن يصل؟ وأضاف: والناس مقبلون على عطلة....

كان يوماً مثيراً بحق. وبدا السيد فتوشي مزهواً كما لو كان البنك ملكه. ودقت صفارات الإنذار لساعات طوال حول المدينة. وأوقفت المتاريس التي نصبت في حواف المدينة مئات المسافرين لقضاء عطلتهم. وتم تفتيش سيارات عدد من الرجال ذوي الهيئات المريبة.

سمعت السيدة هوجن بالقصة عن طريق التلفون فتهندمت قبل المواعيد التي تلبس فيها عادةً وحضرت للمحل في طريقها إلى لقاء طائفة المذبح. وتمنت لو أن السيد هوجن قد رأى أو سمع شيئاً جديداً ولكن هذا لم يحدث.

- لا أرى أن هذا الشخص سيفلت. قال لها.

كانت السيدة هوجن مستثارة لدرجة أنها نسيت أن تحكي له أخبارها الخاصة. ولم تتذكرها إلاّ بعد أن وصلت لدار السيدة دريك. لكنها أخذت إذناً بالإتصال بالمحل في أول سانحة أتيحت لها.

- نسيت أن أخبرك. لقد فاز جون بالتنوية المشرّف.

- ماذا؟

- في مسابقة (أنا أحب أمريكا)!

- فاز بماذا؟

- التنويه المشرّف.

- حسن. حسنٌ- أي شيئ يأتي مع هذا؟

- طبعاً! إسمه وصورته ستعم البلاد. والراديو أيضاً. وربما التلفزيون حتى. لقد طلبوا صورته بالفعل!

- عظيم! أتمنى ألاّ يفسده هذا الأمر.

ووضع السماعة مكانها وهو يقول للسيد فتوشي:

- أعتقد أن لدينا أحد المشاهير في المنزل.

كان محل فتوشي يظل مفتوحاً حتى التاسعة مساء في أيام السبت. لم يأكل السيد هوجن سوى بعض القضمات الصغيرة من الشرائح الباردة، ليس كثيراً، لأن السيدة هوجن دأبت على حفظ عشاء دافئ له بالبيت.

كانت الساعة ٩:٠٥ أو ٠٦: أو ٠٧: عندما رجع للمنزل ذي القرميد البني في نمرة ٢١٥ شارع شرق بابل. مر من الباب الأمامي نحو المطبخ حيث الأسرة تنتظره.

قال لهم: يلزمني دش بارد. ثم صعد نحو الحمام.

أدار مفتاح باب الحمام في القفل ثم سحب سلسلة المقعد وفتح الماء في حوض المغطس وحوض غسيل اليدين أثناء عده للنقود.

ثمانية آلاف وثلاثمائه وعشرون دولاراً.

تناول من أعلى رف في دولاب الحمام الجراب الجلدي المحفوظة فيه بزة فارس الهيكل خاصته فأنزله. كانت القبعة المريّشة لا تزال في هيئتها لكن ريشة النعام البيضاء بدت مصفرّة نوعاً ما وتحتاج لتغيير.

إنتشل السيد هوجن القبعة ثم فصل الزي من قعر الجراب. وضع النقود داخل الزي ثم أعاد التفكير وسحب ورقتين وحشرهما في جيب بنطاله. ثم أعاد وضع الزي فوق النقود واضعاً القبعة في مكانها ، أغلق الجراب ودفعه إلى الرف الأعلى.

أخيراً غسل يديه وسد الماء من الحوضين. إنتظرته السيدة هوجن وطفلاهما في المطبخ بابتسامة مشعشعة.

- خمّن ما سيمر به أحد الشباب!

- أمممم . ماذا؟

- الراديو. يوم الإثنين. قال جون الصغير وأضاف: في الثامنة.

- أعتقد أن الأسرة فيها أحد المشاهير. قال السيد هوجن. وأضاف:

- أرجو أن لا تكون الشابة قد تضايقت!

جذب السيد هوجن كرسيه مقترباً من المائدة وأرخى ساقيه وقال:

- حبيبتي. أعتقد أن لديّ أسرة لطيفة. ومد يده إلى جيبه وسحب ورقتين من فئة الخمسة دولار. مد واحدة لجون:

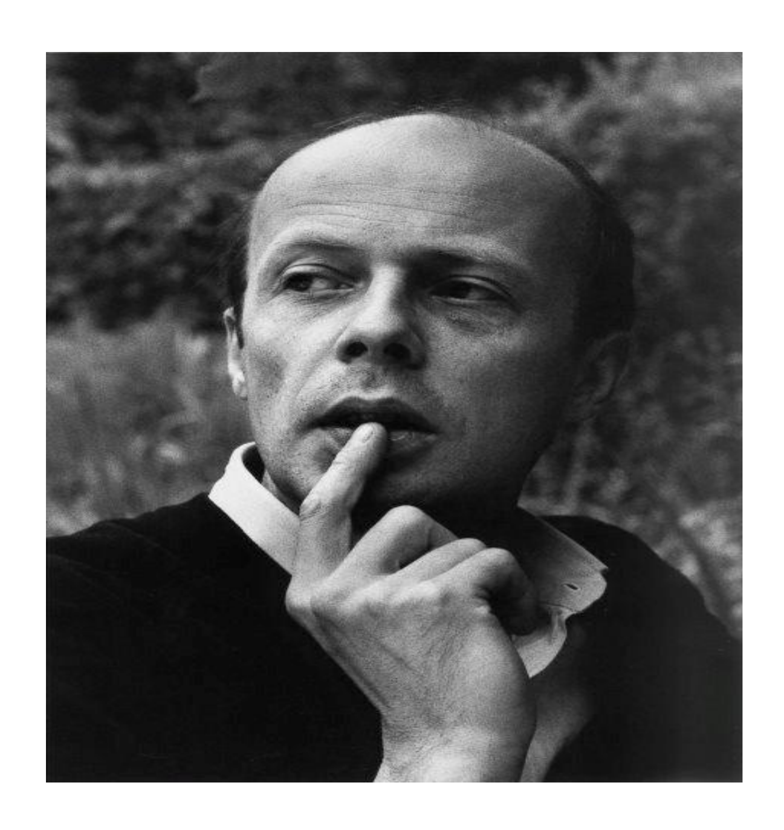
- هذي لفوزك! ثم دفع بالورقة الثانية نحو جون البنت:

- وهذي لكون روحك رياضية جيدة! لدينا شخص شهير وآخر رياضي! يا لها من أسرة رفيعة!

ثم فرك يديه ورفع الغطاء عن الطبق الدافئ أمامه:

- كلاوي! يا إلهي!

هكذا فعلها السيد هوجن.



- **إسم القصة : بحثاً عن العمق**

- **تأليف : باتريك زوسكيند**

- **ترجمة : كاميرون حوج**

- **نبذة عن الكاتب :**

باتريك زوسكيند (ولد في أمباخ ٢٦ مارس ١٩٤٩) هو كاتب روائي ألماني. من أشهر أعماله رواية العطر التي حولت إلى فيلم سينمائي شهير.

بحثاً عن العمق

راغباً في تشجيعها، ومن دون أي سوء نية، قال ناقد لفتاة من شتوتقارت، ترسم لوحات جميلة، في أول معارضها : "إن ما تقومين به موهوب ولافت للنظر، لكن عندك قليل جداً من العمق".

لم تفهم الفتاة ما يعنيه الناقد وفي الحال نسيت الملاحظة. لكن بعد يومين، نشرت الجريدة لقاءً مع الناقد نفسه جاء فيه : " تملك الفنانة الشابة الكثير من الموهبة، وتثير أعمالها الإعجاب من النظرة الأولى، لكنها للأسف تفتقر إلى العمق".

بدأت الفتاة بالتفكير تأملت في رسوماتها. نقّبت في محافظ لوحاتها القديمة. تأمّلت جميع رسوماتها السابقة والرسومات التي تعمل عليها. ثم سدّت زجاجات الحبر الصيني. غسلت الفراشي وذهبت كي تتمشى.

في المساء نفسه دُعيت إلى حفل. كان الجميع قد حفظ النقد عن ظهر قلب و كرروا الحديث عن الموهبة الكبيرة والإعجاب الشديد اللذين تثيرهما اللوحات من النظرة الأولى. لكن الفتاة تمكنت من أن تلتقط من خلفية الدمدمة ومن أولئك اللذين تقف وراءهم، إذ أصاخت السمع : "ليس عندها عمق. هذا بالضبط ما ينقصها ليست سيئة، لكن للأسف ليس لديها عمق".

طوال الأسبوع التالي، لم ترسم الفتاة شيئاً جلست صامتة في شقتها. أمعنت التفكير وجالت برأسها فكرة واحدة فقط، حاصرت أفكارها الأخرى مثل أخطبوط الأعماق وبلعتها : " لماذا ليس لدي عمق؟".

في الأسبوع الثاني حاولت الفتاة أن ترسم من جديد لكنها لم تتعد مشاريع لوحات لا مهارة فيها. وأحياناً لم تتمكن من رسم خط واحد. بالنهاية ارتجفت إرتجافاً شديداً، لم تقدر بعده على غمس الريشة في زجاجات الحبر الصيني. فبدأت بالبكاء وأعولت : "نعم، صحيح ما يقولون، ما عندي عمق".

في الأسبوع الثالث بدأت تحدق في كتب الفن، تدقق في أعمال الرسامين الآخرين، تتجول بين المعارض والمتاحف. قرأت كتباً نظرية عن الفن. ذهبت إلى مكتبة وطلبت من البائع أعمق ما لديه من الكتب. حصلت على عمل لكاتب اسمه (فيتغنشتاين). ولم تستفد منه شيئاً.

إنضمّت أثناء تجوالها في معرض أقيم في متحف المدينة تحت عنوان "٥٠٠ عام من الرسم الأوروبي" إلى مجموعة من التلاميذ يقودهم مدرس الفنون. وفجأة، أمام لوحة من أعمال ليوناردو دافنشي، تقدمت إلى المدرس وسألته : "المعذرة، هل لكم أن تشرحوا لي، إن كان في هذا الرسم عمق؟". إبتسم لها المدرس إبتسامة ماكرة وقال : " إذا كنت تنوين أن تتسلس معي عليك أن تكوني أكثر مهارة، سيدتي الموقرة". ضحك التلاميذ من أعماق قلبهم. إلا أن الفتاة مضت إلى البيت وبكت بمرارة.

إزدادت غرابة الفتاة. لم تعد تترك مرسمها إلا بالكاد ورغم ذلك لم تتمكن من العمل. تناولت الحبوب لتبقى يقظة، دون أن تعلم ما الداعي لأن تبقى يقظة. وعندما تتعب كانت تنام في كرسيها لأنها تخاف الذهاب إلى السرير، خشية عمق النوم. ثم إنها بدأت بالشراب وتركت الأضواء مشتعلة في الشقة طوال الليل. لم تعد ترسم. عندما إتصل بها تاجر فن من برلين طالباً بعض لوحاتها، صرخت في التلفون : "أتركني بحالي. ليس لديّ عمق".

عجنت الصلصال بين الحين والآخر، لكنها لم تشكل شيئاً معيناً. إكتفت بدس أناملها في الصلصال أو شكلت كبيبات صغيرة. أهملت مظهرها. لم تعد تأبه بملبسها وتبهدلت شقتها.

قلق أصدقاؤها عليها وقالوا : " يجب الإهتمام بها فهي في أزمة. إما أن الأزمة إنسانية أو أنها فنية، وربما كانت مالية في الحالة الأولى لا يمكن فعل شيء. في الحالة الثانية، عليها تجاوز محنتها. وفي الحالة الثالثة يمكننا أن نجمع لها التبرعات، لكن أغلب الظن أن هذا سيؤذي مشاعرها". وهكذا إكتفوا بدعوتها إلى الطعام والحفلات. رفضت كل الدعوات بحجة العمل. لكنها لم تعمل، بل كانت تجلس في غرفتها، تحدق أمامها وتعجن الصلصال.

ذات مرة يئست من نفسها يأساً شديداً وقبلت إحدى الدعوات. أراد شاب أعجب بها أن يأخذها إلى البيت كي يضاجعها. قالت إن إصطحابه لها يسرّها فهو أيضاً يعجبها، لكن عليه أن يحتاط فهي لا تملك عمقاً. وعليه وقف الشاب على مسافة منها.

تدهور وضع الفتاة، التي كانت ترسم ذات مرة لوحات جميلة، بشكل ملحوظ لم تعد تخرج مطلقاً، لم تعد تستقبل أحداً سمنت بسبب قلة الحركة وشاخت سريعاً بسبب الكحول والحبوب. بدأت شقتها بالتعفن وفاحت منها هي رائحة حامضة.

كانت قد ورثت ٣٠ ألف مارك، عاشت منها طوال ثلاثة أعوام. وقامت خلال تلك الفترة برحلة إلى نابولي، لا يعلم أحد تحت أي ظروف من كلمها حصل منها جواباً على دممة غامضة. وعندما أنفقت نقودها، مزقت المرأة الشابة رسوماتها وثقبتها. صعدت برج التلفزيون وقفزت من ارتفاع ١٣٩ م. إلى العمق. لكن ولأن رياحاً قوية هبت ذلك اليوم، لم تتحطم على الساحة الإسفلتية تحت البرج، بل حملتها الرياح عبر حقل الشوفان بعيداً حتى أطراف الغابة، حيث سقطت على أشجار التنوب. إلا أنها، رغم ذلك، ماتت.

شاكرة إلتقطت الصحافة الصفراء الموضوع. كان للإنتحار بحد ذاته مسار الطيران الغريب، واقعة أن المنتحرة كانت فنانة واعدة، وعلاوة عليه وسيمة قيمة معلومات عالية. ظهر أن وضع شقتها مأساوي، إلتقطت لها صور مثال على الشقاء. آلاف الزجاجات المفرغة. علامات الخراب في كل مكان. لوحات ممزقة، بقع صلصال على الجدران، بل وحتى الفضلات في الزوايا. خاطرت الصحافة بعنوان رئيسي ثانٍ وتقرير على الصفحة الثالثة.

في الصفحة الأدبية، كتب النقد المذكور أعلاه، تعليقاً عبر فيه عن شديد أسفه، لنهاية الفتاة هذه النهاية المؤلمة : "من جديد تهزنا الأعماق، نحن الباقين حقيقة أن نرى موهبة شابة، لا تملك من القوة ما يكفيها لتثبت وجودها في المشهد الفني. هنا لا يلعب تشجيع الدولة والمبادرات الفردية الدور الحاسم، عندما يتعلق الأمر بأن يفسح المجال بالدرجة الأولى لصب الإهتمام في الحقل الإنساني ولمرافقة متفهمة في القطاع الفني. بيد أن بوغ هذه النهاية المأساوية يقع بالنتيجة في الفرد. أفلا تنطق أعمالها الأولى الساذجة ظاهرياً، بذلك التمزق المرعب، ألا يُقرأ من تقنيتها صعبة المراس، صاحبة الرسالة، ذلك التمرد الموجّه إلى الداخل، الذي يحفر الذوات حلزونياً، غير المجدي بشكل واضح، الذي يبديه المخلوق على شخصه؟ ذلك البحث الجبري خطير العواقب، أودّ القول، الذي لا يرحم، عن العمق".



- إسم القصة : حياتي مع موجة

- تأليف : أوكتافيو باث

- ترجمة : زعيم الطائي

- نبذة عن الكاتب :

أُكتافيو باث (بالإسبانية: Octavio Paz) شاعر وأديب وسياسي مكسيكي، ولد في مدينة المكسيك في ٣١ مارس ١٩١٤. حصل على جائزة نوبل في الأدب لسنة ١٩٩٠ ليكون بذلك أول شاعر وأديب مكسيكي يفوز بهذه الجائزة. عرف بمعارضته الشديدة للفاشية، وعمل دبلوماسيًّا لبلاده في عدة دول. تشعب نشاطه في عدة مجالات، فإلى جانب كونه شاعراً، فقد كتب أيضاً العديد من الدراسات النقدية والتاريخية والمقالات السياسية.

حياتي مع موجة

حين غادرت ذلك البحر، تقدمت الموجة قرينتها فوق الماء، موجة عالية، ناصعة، شديدة البريق، وبالرغم من صيحات المويجات الأخريات اللواتي أخذن يتمسكن بملابس العوم التي ترتديها، ومناداتهن لها المحذرة، فقد قفزت الموجة من بحرها ممسكة ذراعي، سائرة حيث أسير، متوجهة حيث أتوجه.. لم تكن لدي رغبة في معارضتها، كي لا أشعرها بالمهانة أمام صديقاتها، إضافة الى النظرات المتفرسة التي لاحقتني من قبل الموجات العجائز الباقية، والتي أصابت حركتي بالشلل. حينما وصلنا المدينة، أوضحت لها إستحالة بقائنا سوية، فحياة المدن تفوق قدرات تصورها، وليست كما أعتقدت بمحدودية عقلها القاصرة ضمن البحر، حدقت بي بجدية وأهتمام، (كلا، لقد أتخذت قرارك، ولايمكنك التراجع فيه) . حاولت باذلاً كل مافي وسعي أن أكون طيباً معها، صلباً، في سخريتي منها، لكنها أجهشت باكية، وأستمرت في النحيب وهي تعانقني، متوعدة إياي تارةً، مهددةً تارةً أخرى، فلم أملك إلا أن أتقدم لها معتذراً عن خطئي بحقها.

في اليوم التالي إبتدأت رحلتي مع المصاعب والمشكلات، فكيف سنستقل القطار خفية دون أن تقع علينا أنظار المشرف، أوالشرطة والمسافرين؟ فمن المؤكد أن قوانين السكك لا تحترم شيئاً أسمه إنتقال أمواج البحر على قاطراتها، كان فعلنا يستحق المحاسبة كما لو كنا نرتاد إحدى المناطق المحرمة. بعد تفكير طويل قررت الذهاب الى المحطة مبكراً، قبل ساعة من بدء الانطلاق، متخذاً مكان جلوسي، حينذاك، بينما لم يكن بمستطاع أحد رؤيتنا، أفرغت خزان الماء الاحتياطي الذي يستعمله الركاب، وبعدها، بحذر شديد، صببت داخله رفيقة رحلتي.

أول المشاكل حدثت بعد أن رفع إثنان من الأطفال الذين بجواري عقيرتهم بالصياح يطلبون ماءاً، مما إضطرني الى إسكاتهم بوعد إحضار المرطبات والليمونادة حال وصولنا، بدا عليهما الإقتناع لولا إقتراب مسافرة ظاهر عليها العطش، أقبلت تطلب ماءُ ، هممت بدعوتها هي الأخرى لكن نظرات رفيقها القاسية منعتني من ذلك، راحت السيدة تقترب من الخزان، في يدها كوب ورقي، وقامت بفتح الصنبور حتى كاد كوبها يمتليء تقريباً حينما

هرعت قافزاً حائلاً مابينها وبين صديقتي الموجة، نظرت لي باندهاش، وبينما رحت أتأسف معتذراً، قام أحد الأطفال وفتح الصنبور من جديد، فأغلقته بشئٍ من العنف، والسيدة تقرب الكوب من شفتيها، صاحت:

- (أغغ، هذا الماء شديد الملوحة!)

ردد أحد الطفلين كلماتها، نهض بعض المسافرين، مما حدا بزوجها للإسراع بمناداة المشرف، قائلاً:

- (هذا الرجل قام بوضع الملح في الماء)

أسرع المشرف باستدعاء المفتش:

- (أذن، أنت وضعت مادة في الماء؟)

قام المفتش بدوره باستدعاء البوليس :

- (أها، فقد قمت بتسميم مياه الشرب؟)

هرع الشرطي محضراً الضابط:

- (أها، أنت الذي سمم الماء؟)

نادى أخيراً الضابط ثلاثة من أعوانه، أخذوني معهم الى عربة فارغة، وسط همهمات المسافرين وتحديقاتهم المستريبة، وعند المحطة القادمة جرجروني الى السجن ثم ألقوا بي أرضاً، مرت أيام عديدة دون أن يكلف أحدهم نفسه بسؤالي أو التحدث إليّ، ماعدا ساعات الإستجواب الطويلة، وحالما شرحت لهم قصتي، لم يصدقني أحد، حتى السجان هز لي رأسه وقال:

- (الحالة خطيرة، خطيرة حقاً، أكنت تبغي تسميم الأطفال؟).

ذات يوم جلبوني أمام القاضي، (قضيتك صعبة) أخذ يردد عبارته (سأرسلك الى قاضي العقوبات). بعد مرور عام واحد، أتى أخيراً موعد محاكمتي، وبما أنه لم يكن هناك ضحايا، سهّل ذلك في إطلاق سراحي، فجاء حكمي مخففاً.

نادى عليّ مسؤول السجن:

- (حسن، أنت حر الآن، إنك لرجل محظوظ لأنه لم يصب أحد بفعلتك، لا تكررها مرة أخرى، فلن تكون عقوبتك قصيرة كهذه). وتمعن بي بنفس النظرة المريبة التي إعتاد كل واحد أن ينظر لي فيها.

أخذتُ قطار الظهيرة، وبعد ساعات من الرحلة المتعبة بلغ القطار مدينة مكسيكو، إستأجرت تاكسي ليوصلني إلى البيت، وعند باب الشقة تناهت ضحكات وأصوات غناء، فأحسست بألم في صدري، كأنما وجهت لي ضربة موجة مفاجئة. كتلك الدهشة غير المتوقعة التي تثير الأوجاع في الصدور، كانت صديقتي هناك، تضحك وتغني مثلما إعتادت أن تفعل دائماً.

- (كيف تمكنت من العودة ثانية؟)

- (الأمر في غاية البساطة، بواسطة القطار.. أحدهم، بعد تأكده من أنني مجرد كمية من مياه مالحة، صبني في محرك القاطرة، كانت رحلة وعرة شاقة، وسرعان ماصرت مع الأبخرة البيضاء في المدخنة، إلتحمت بمطر المحرك الهاطل، تضاءل حجمي وأصبحت من الخفة بمكان، فقدت الكثير الكثير من قطراتي).

وهكذا غير حضورها حياتي، فبيتي ذو الرواق المعتم، وآثاثي التي تكوم عليها الغبار.. مُلئت فجأة بالهواء الندي، وضياء الشمس، والأصوات، وإنعكاسات الزرقة الممتزجة باللون الأخضر، وصدى الأصوات المفرحة لمختلف أنواع البشر، كم موجة كانت هناك؟ فقط واحدة، فكيف تهيأ لها أن تصنع شاطئاً، وصخوراً لميناء خلف الحيطان، الصدر والجبهة تتوجهما الرغوة، حتى الأركان المهجورة، والزوايا المغبرة المذلة بحطام الفقر، أصابتها لمعات من لمسات ضوء يديها، بدأت كل الأشياء تتضاحك بأسنانها البراقة، دخلت الشمس المبتهجة أعماق الغرف القديمة، حيث أخذت تمكث ساعات طويلة في مختلف أرجاء البيت، هاجرة البيوت الأخرى، هاجرة كل المنطقة، المدينة، وعموم البلاد. وفي بعض الليالي، تبقى الى أوقات متأخرة، فتأتي النجوم المرتاعة لتراقبها خلسة من خلال أشرعة البيت. إن الحب لعبة، وخلق دائم في منتهى الروعة، كل ذلك كان شاطئاً، ورملاً، فراشَ نومٍ بملاءات نظيفة، متجددة، لو عانقتها، تنتفخ لك مفتخرة، وتطول بشكل غير معقول،

كنسغ سائل ينبعث من قصبة غصن شجرة حور، وحالاً تبتدىء تلك الزهيرات الخفيفة، بالغة الرقة، في نبعها الأبيض المريش، في برقوق الإبتسامة، التي تتناثر فوق رأسي وظهري، مغطية جسدي كله بالأبيض اللامع، أو تتمدد أمامي، أزلية مثل الأفق، حتى أغدو متحولاً أفقاً يكتنفه السكون، ممتلئاً ومتلوياً، تغلفني كما الموسيقى أو مثل شفتين ضخمتين، كان وجودها رواحاً ومجيئاً دائماً تتخلله مداعباتها المستمرة، دندناتها، وقبلاتها. منغمراً في مياهها، منقوع الجوربين.. وبلمحة عينيها أطفو عائداً من جديد، في أعلى مراحل الدوار، معلق بشكل غامض، حتى أتساقط مثل حجارة، فأحس نفسي مودعاً بلطف فوق اليابسة بخفة ريشة، لاشيء ممكن مقارنته في النوم وسط تلك النعومة المترقرقة، ثم تصحو كأنما وجهت اليك آلاف الضربات اللذيذة من كرباج ضوئي، إعتداءات تصحبها قهقهات متوالية مستمرة.

لكنني لم أتوصل يوماً الى مستقر كيان وجودها، لم ألمس التعرية الحقيقية لمكامن الموت ومواطن الآلام، ربما تلك التي لم تتمثل في الأمواج، ذلك الموقع السري الذي يجعل من أية امرأة متهالكة ضعيفة، الزر الكهربائي لكافة محاور أجهزة تعشيقها، والاختلاجة التي تعقب غفوة الإغماء الأخيرة، كانت أحاسيسها بالضبط كتلك التي لدى أيّ امرأة، موزعة في مويجات صغيرة، ليست لها مراكز، بل وجودها الحقيقي في لامركزيتها، تنقسم مبتعدة عن مستقرها أغلب الأوقات، لتعود الى الإلتحام مجتمعة عند مجرتها ثانية، متمددة بولهٍ في ذلك الإلتحام القصي، مع ذبذبات نجوم عوالم نائية، ليس هنالك شك في وجودها، لكن مركزها.... لا، لم يكن لها مركز نهائياً، فقط فراغ مثل قلب الزوبعة، كان يخنقني كل يوم ويمتصني بهدوء.

نتمدد من جانب الى جانب، بقناعات متغيرة دوماً، نتهامس، نبتسم، نتموج، فتتساقط فوق صدري متجلية كنبات مدندن، تغني في أذني، صوت حلزونة صغيرة، شفافة وضئيلة، تتمسك بأقدامي مثل حيوان ضعيف، أمواج هادئة، واضحة، باستطاعتي قراءة كل ما يجول بخاطرها، بعض الليالي، يتغطى جسدها بعطر فسفوري، وعناقها أشبه بعناق قطعة من الليل موشومة بالنار، أحياناً تكون معتمة مرة الطعم ولاذعة، تأتي ساعة تزأر فيها دون توقع، متشكية، متلوية، حتى تصل تأوهاتها الى مسامع جيراننا، فتخدش الريح البحرية أبواب البيت، وثبات هادرة من صوتها العالي الصاخب، مزمجرة فوق السطوح،

تغضها الأيام الغائمة، فتحطم الأثاث، تتفوه بكلمات مسيئة، تدثرني برغوة خضراء رمادية مهينة، تروح باصقة حيناً وباكية أحياناً أخر، مقسمة، تطلق نبوءاتها تجاه القمر، والنجوم، نحو الضياء الأثيري للعوالم الأخرى، ثم سرعان ماتغير طبائعها فتظهر على الحالة الرائعة التي أفضل رؤيتها فيها، لكنها تبقى خطرة كالمد الجارف.

وشيئاً فشيئاً، بدأت تفقد شعورها بالوحدة، بعد أن امتلأ البيت بالحلزونات والقواقع، والقوارب الشراعية الصغيرة التي أخذت تقوم بأغراقها متى ما استبد بها الغضب (سوية مع الآخرين، محملة بالتصورات الغريبة، تترك جبهتي في كل ليلة لتغرق بين زوابعها الخفيفة والهائجة) لا أعلم كم من الكنوز الصغيرة فقدت في ذلك العهد؟ لكن زورقي وأغنية الحلزون الصامتة لم تكونا كافيتين، كان علي أن أتولى أمر المستعمرة السمكية داخل البيت، وأعترف أن الأمر لايخلو من الغيرة وأنا أرقب السمكات حائمة حول صديقتي، يداعبن صدرها، ينمن مابين ساقيها، وينغمرن بتزيين شعرها بوميض الضوء الذي تبعثه طيوف من شتى الألوان.

بين كل تلك السمكات كانت قلة منهن على الأخص تمتاز ببغضها وشراستها، نمور صغيرة في الحوض المائي، بعيونها الواسعة المفتوحة على الدوام، كواسر بأفواه متعطشة للدماء، لا أعرف وفق أي مزاج يبعث اللعب معهن في نفسها الإبتهاج، يعرضن أمامها بوقاحة متناهية ما يعتقدنه مهماً في رأيهن، فيما هو في نظري مدعاة للإهمال والتجاهل، كانت تقضي الساعات الطوال حصراً مع تلك المخلوقات البغيضة. ذات يوم، لم يكن بوسعي السكوت، فتحت الباب وقذفت نفسي منطلقاً إثرهن، لكنهن إنسللن برشاقة شبحية من بين يديّ، بينما راحت تتضاحك وهي تهرس جسدي الى أن أسقطتني، حتى ظننت أنني غارق لامحالة أو على وشك الموت، شحب لوني، فاضطرتْ لتركي بعد فترة عند الجرف وهي تقبلني، لم أفهم شيئاً، كنت تعباناً خائر القوى، ونفسي يتآكلها الإذلال، في الوقت نفسه أغمضت عيني من شدة الإثارة التي داهمتني، كان صوتها عذباً وهي تحدثني عن منتهى اللذة في الموت الجميل، غرقاً، ولكن عندما أتتني الصحوة من جديد، لازمني الشعور بالخوف حتى صرت أمقتها وأكن لها البغض من كل أعماقي.

لقد أهملت كل شؤوني الأخرى في الفترة الماضية، الآن، بدأت زيارة بعض أصدقائي، مجدداً بعض علاقاتي السابقة الحميمة، وقابلت إحدى حبيباتي القديمات، مُحلفاً إياها أن

تصون سري، حكيت لها قصة حياتي مع الموجة، لا يحرك المرأة قدر إمكانية الإحتفاظ برجل، إستخدمت لخلاصي كل فنونها، ولكن ماذا بوسع المرأة، سيدة النفوس والأجساد، أن تفعل أمام صديقتي المتغيرة على الدوام – متماثلة ومتحولة باستمرارية تفوق الوصف.

أقبل الشتاء، تغير لون السماء إلى الرمادي، وخيم الضباب فوق المدينة، بدأ الرذاذ النازل في التجمد، فتعالى بكاء صديقتي أغلب الليالي، وقد آثرت أن تعيش في عزلة طوال نهاراتها، تداري أوقات نحسها، متهجئة في تأتأة وهدوء مقاطع مفرداتها، مثل عجوز متذمرة في زاويتها، حيث أصبحت شديدة البرودة، حتى صار النوم الى جوارها يتطلب التعرض للأنجماد والأرتعاش طول الليل، وشيئاً فشيئاً، أخذ يتغير منها، وبشكل عميق، الدم والعظام والأفكار، باتت متمنعة، قلقة، وكنت كثيراً ما أتركها، أهجرها، وأطيل غيابي، فتسكن في ركنها رافعة عقيرتها بنواح عال، تقضم بأسنانها الفولاذية ولسانها المنشاري حواف الجدران، التي كانت أصلاً على وشك الإنهيار، تلومني أطراف الليل وأثناء النهار، وقد تلبسها كابوس من الهذيانات المتصلة، تتضمن شمساً وشطئاناً يغمرها الدفء، حلمت بتغيرات كتل الجليد الهائلة في القطب، أبحرت تحت السماء الزرقاء ساعات الليل لأشهر عديدة، راحت تمعن في إهانتي ولعني وهي تطلق ضحكاتها، ملأت البيت بالقهقهات والأشباح، إستدعت كل وحوش الأعماق، العميان منهم بطيؤو الحركة، والخشنون المسرعون، محملة بشحنات كهربائية، يتفحم كل شيء بعد أن تلمسه، بقوامها الحامضي تتحلل الأشياء إلى مكوناتها الأولى حال مرورها، في كل الأمكنة، تحولت عناقاتها الحارة الى حبال خانقة كثيرة العقد، وتحول جسدها الى شرائط مطاطية مخضوضرة، تضرب بسياطها الصلبة من يقف أمامها، تضرب، وتضرب، لذلك وليت هارباً من أمامها، تتابعني ضحكات الأسماك المرعبة وإبتساماتها المفترسة.

هنا في الجبال، بين المنحدرات وأشجار الصنوبر، أشم صفو هذا النسيم العليل مفكراً بانعتاقي، بعد مضي شهر، قفلت عائداً، متخذاً قراري، كان المكان بارداً جداً على رخام المدخنة، بعد خمود النار، وجدت تمثال الثلج هناك، حيث لم يعد لجمالها المرهق تأثيره أو سحره السابق في نفسي، حشرتها في كيس واسع من الجنفاص، وخرجت الى الشارع حاملاً إياها على كتفي أثناء سباتها، قمت ببيعها الى نادل من أصدقائي يشتغل في مطعم

بعيد عند الضواحي، سارع بتقطيعها في الحال الى أوصال صغيرة، ثم تركها ثلجاً مضاعاً في الأسطل التي يستعملها لتبريد القناني وأواني الشرب.



- **إسم القصة : ألا تسمع نباح الكلاب .. ؟!**

- **تأليف : خوان رولفو**

- **ترجمة: محمّد محمّد الخطّابي**

- **نبذة عن الكاتب :**

خوان رولفو (بالإسبانية: Juan Rulfo) يعد الكاتب المكسيكي الأشهر والأب الروحي للواقعية السحرية في أدب أمريكا اللاتينية. ولد في سايولا (المكسيك) في ١٦ مايو ١٩١٧. وتوفي في مدينة مكسيكو في ٨ يناير ١٩٨٦. عمل رولفو في شركة لبيع الإطارات وفي مشاريع الري ودائرة الهجرة وكتب للسينما، لكنه جعل من المدينة التي ولد فيها محوراً لأحداث قصصه.

ألا تسمع نباح الكلاب .. ؟!

أنت الذي هناك فوق، إغناثيو، قل لي إذا ما كنت تسمع أيّ شيء، أو إذا ما كنت ترى أيّ ضوء في أيّ مكان،

- لا أرى شيئا.

- لابدّ أنّنا قد دنونا من القرية

- نعم، ولكن لا يسمع أيّ شيء

- أنظر جيّداً

- لا يرى أيّ شئ

- مسكين أنت يا إغناثيو. .

ظلّ الرجلين الأسود والطويل يتحرّك من أعلى إلى أسفل متسلّقاً الأحجار، ثمّ صار هذا الظلّ يكبر ويتضاءل بمحاذاة ساحل الجدول، كان ظلاّ واحداً يتمايل ويهتزّ.

كان القمر يخرج مثل جمرة مستديرة.

- كان علينا أن نكون قد وصلنا إلى القرية إغناثيو، أنت الذي توجد أذناك في الخارج أنظر جيّداً وإسمع إذا ما كان ينتهي إليك نباح الكلاب، تذكّر أنّهم قالوا لنا أنّ ' تونايا' توجد خلف الجبل بقليل، ونحن منذ ساعات تركنا الجبل بعيداً، تذكّر يا إغناثيو.

- نعم ولكنّي لا أرى أثراً لشيء .

-لقد بدأت أتعب .

- أنزلني إذن .

تقهقر العجوز قليلاً ولمّا وجد حائطاً إتّكأ عليه من غير أن ينزل الحمل الذي كان فوق كتفيه، وعلى الرّغم من أنّ ساقيه كانتا مقوّستين من فرط العياء فإنّه لم يجلس، فهو يعرف جيّداً أنّه بعد ذلك لن يكون في مقدوره النهوض من جديد وجسم إبنه على ظهره بعد أن ساعدوه على وضعه عليه منذ ساعات مضت .

- كيف أنت الآن ؟

- في حالة غير جيّدة .

كان قليل الحديث، وفي كل مرّة كان حديثه يقلّ أكثر، وفي بعض الأحايين كان يبدو كما لو كان نائماً وفي أحيان أخرى كان يبدو كما لو كان يشعر ببرد شديد، كان يرتعش، يعرف ذلك عندما يمسك به إبنه حيث كانت رجلاه تهتزّان كأنّهما داخل مهماز وكانت يدا الإبن موثوقتين بقوّة إلى عنق أبيه وكان رأسه يتأرجح كما لو كان صنجاً أو جلجلاً.

كان الرجل يشدّ على أسنانه حتّى لا يعضّ لسانه، وعندما ينتهي من ذلك كان يسأل إبنه :

-أما زالت الآلام تبرح بك ؟

فيجيب الإبن :

– بعض الشيء .

في البداية قال له ضعني عنك، أتركني هنا واذهب أنت لوحدك، سوف ألحق بك غداً، أو عندما أخفّ قليلا، قال له هذا حوالي خمسين مرّة، والآن لم يعد يقوى على قول أيّ شيء .

هناك كان القمر قد إستوى أمامهما كبيراً مستديراً يميل إلى الحمرة، كان يملأ عيونهما شعاعاً، ويجعل ظلّيهما يبدو أطول من المعتاد على أديم الأرض .

قال :

– لم أعد أعرف إلى أين أنا ذاهب .

ولم تأته الإجابة من أحد، الآخر، إبنه كان هناك على ظهره يستمتع هو الآخر بضوء القمر بوجهه الشاحب، كان يشعّ منه ضوء ’خافت’ كئيب وهو هنا في الأسفل.

- أتسمعني يا إغناثيو ؟ إنّني لا أرى أيّ شيء .

وكان الآخر يستغرق في صمت رهيب. إستمرّ في المسير وهو يتعثّر في خطواته، يحاول تثبيت جسمه إلا أنّه سرعان ما يعود إلى التعثّر من جديد .

- أعتقد انّنا قد ضللنا الطريق، قالوا لنا أنّ قرية طوناية توجد وراء التلّ، ولقد إجتزنا الهضبة وطوناية لا ترى للعيان كما أنّه لا يسمع أيّ ضجيج يدلّ على قربها منّا .

- لماذا لا تقل ماذا ترى أنت هناك فوق يا إغناثيو

قال الولد : – أنزلني يا أبتي

- أما زلت تشعر بالألم ؟

- نعم

- سأذهب بك إلى طوناية مهما كانت الظروف، وهناك سأجد من يعتني بك ويرعاك، يقولون أنّ بها طبيبا سأذهب بك عنده، جئت بك محمولا منذ ساعات ولن أتركك مجندلاً هنا ليقضي عليك أيّ كان. تمايل قليلاً ثم تقدّم خطوتين أو ثلاث خطوات على جنب، ثم عاد فاستقام، فثبت في مكانه من جديد .

- سأحملك إلى طوناية

- أنزلني

أصبح صوته خافتا أشبه بالهمس .

- أريد أن أنام قليلاً .

- نم هناك في أعلى فإنّني أمسك بك بقوّة .

كان القمر يزداد صعوداً ويكاد يتوسّط كبد سماء صافية، يكاد لونه يميل إلى الزرقة . إمتلأ وجه الأب المبلّل بالعرق ضوءاً، أخفى عينيه حتّى لا يرى أمامه، إذ لم يكن في مقدوره أن يحني برأسه المشدود بقوّة بين يدي إبنه .

- كل ما أقوم به نحوك ليس إرضاء لخاطرك، بل إنّني أفعل ذلك من أجل المرحومة أمّك، لأنك كنت إبنها لهذا أفعل ما أفعل، فهي لن يروقها أن أتركك مهجوراً هناك حيث وجدتك وألاّ أحملك وأذهب بك لتعالج كما أفعل الآن، هي التي تشّجعني على ذلك ولست أنا، منذ البداية لم أجد معك سوى المشاكل والعذابات، لقد شعرت بالخجل غير ما مرّة بسببك .

كان العرق يتصبّب منه وهو يتحدّث، إلاّ أنّ ريح الليل كانت تجفّف عرقه، وعلى العرق الجاف يعود ليعرق من جديد .

- سأكلّ، سأتعب ولكنني لابدّ لي أن أصل بك إلى طوناية حتّى يخفّفوا عنك الجراح التي ألحقوها بك، وإنني على يقين انّك عندما ستشعر بتحسّن ستعود إلى سيرتك المارقة الاولى، ذلك لم يعد يهمّني مهما ذهبت بعيداً حيث لا أعلم عنك شيئاً على الرغم من ذلك فأنت بالنسبة لي لم تعد إبني، لقد لعنت الدم الذي يجري في عروقك منّي،فالقسط الذي يعود منه لي قد لعنته، إنني أقول ' فليتعفّن في كليتيك ذلك الدم الذي منحتك إيّاه' لقد قلت هذا منذ طفقت تسلك تلك السبل العوجاء الملتوية، تعيش على السّرقة وقتل الناس..الناس الطيّبين، وإلاّ فهناك وصيّك ترانكيلينو الذي أشرف على طقوس عمادك، والذي أختار لك الإسم الذي تحمله اليوم، لقد حالفه سوء الطالع هو الآخر بلقائه بك منذ ذلك الإبّان، قلت حينها هذا لا يمكن أن يكون إبني .

- أنظر إذا ما كان يتراءى لك شيء، أو إذا كنت تسمع شيئاً أنت الذي توجد هناك فوق، فأنا هنا أشعر وكأنّني قد أصبت بالصّمم .

- لا أرى شيئاً

- من سوء حظك يا إغناثيو .

- أشعر بالعطش

- أصبر، لابدّ أننا قد دنونا من القرية، فالظلام الدامس قد أطبق، ولابدّ أنهم قد أطفأوا الأنوار.ولكن كان عليك على الأقل أن تسمع إذا ما كانت الكلاب تنبح، أرهف السّمع .

- أعطني قليلاً من الماء

- ليس هنا أيّ ماء ليس هنا سوى الأحجار،عليك أن تصبر، فحتّى لو كان هناك ماء فلن أنزلك لتشرب،فلن أجد أحداً يعينني على حملك مرّة أخرى وأنا وحدي لن أستطيع فعل ذلك .

- أشعر بعطش ونوم شديدين .

- أتذكر عندما ولدت، هكذا كنت في ذلك الوقت كنت دائما تصحو جائعاً لتأكل ثم تعود لتنام، وكانت أمّك تناولك الماء بعد أن تكون قد أتيت على حليبها، لم تكن تشبع أبداً، كنت عصبيّ المزاج، ولم يخطر ببالي قط أنّ حنقك وغضبك سيصعدان إلى رأسك...ولكن هذا ما حدث، أمّك رحمها الله كانت تأمل أن تنمو قويّاً صلب العود، كانت تعتقد أنك ستكون خير معين لها فلم يكن لديها سواك، أخوك الذي كان سيولد بعدك قتلها، وأنت كنت ستقتلها مرّة أخرى لو كانت لمّا تزل على قيد الحياة الآن .

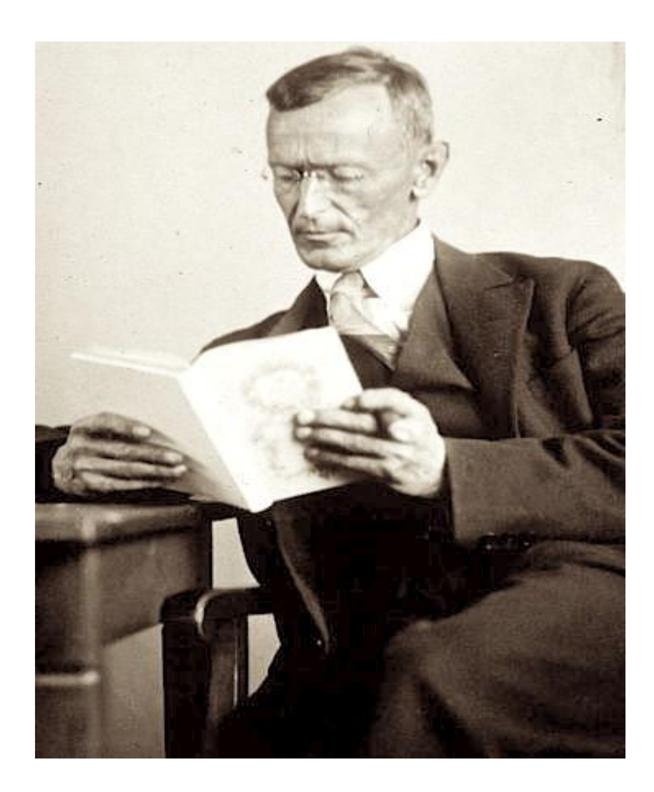
شعر أن الرجل الذي كان يحمل على كتفيه لم يعد يشدّ على ركبتيه، وبدأ يرخي قدميه اللتين أصبحتا تتأرجحان متدلّيتين على جانبي جسمه وخيّل إليه أنّ رأسه هناك في أعلى قد بدأ يهتزّ ويتشنّج، وعلى شعره أحسّ وكأنّ قطرات سميكة كالدموع تملأه .

- أتبك يا إغناثيو ؟ هل تبكيك ذكرى أمّك أليس كذلك ؟ ولكنك لم تفعل قط شيئاً من أجلها، لقد جازيتنا دائماً بالسّوء يبدو أنه بدل الرقّة فقد ملأنا جسمك بالشرّ، وها أنت ترى الآن، ها قد جرحوك، ماذا حدث مع أصدقائك ؟ هل قتلوهم جميعاً، فهم ليس لديهم أحد، كان بإمكانهم أن يقولوا ليس لدينا من نمنحه أسفنا، أمّا انت يا إغناثيو ؟

أخيراً ها هي ذي القرية. رأى سطوحها تشعّ تحت ضوء القمر، شعر أنّ ثقل إبنه ينهكه ويهدّه عندما أحسّ أنّ مرفقيه يتقوّسان عند آخر مجهود يبذله، وعندما وصل إلى أوّل جدار إتّكا عليه، كان جدار الرصيف وأرخى الجسم المنهوك، شعر وكانّه يفصل عنه فصلا .

فكّ بصعوبة أصابع إبنه التي ظلت تضغط بقوّة على عنقه طوال هذه المدّة، وعندما تحرّر منه سمع نباح الكلاب يتناهى إليه من كل اتجاه .

- وأنت ألم تكن تسمعها يا إغناثيو؟ – قال الرجل لم تسعفني حتّى بهذا الأمل..!



• إسم القصة : تحولات بيكتور

• تأليف : هيرمان هسه

• ترجمة : دارين أحمد

• نبذة عن الكاتب :

هيرمان هسه (بالألمانية: Hermann Hesse) ولد في كالف في ألمانيا في ٢ يوليو ١٨٧٧ وتوفي في مونتانيولا تيسن في ٩ أغسطس ١٩٦٢؛ وهو كاتب سويسري من أصل ألماني، عاش بداية شبابه مع عائلته المحافظة وجوها المدافع عن البروتستانتية بشكل مفرط؛ وكان هذا السبب الذي دفعه للهرب والإستقلال عن السلطة العائلية والإعتماد على نفسه والإنخراط في مجال العمل وبشكل قاسي، حيث بدأ عمله ساعاتياً ثم بائع كتب في مكتبة، بعدها اتخذ التأليف والكتابة منهجاً في حياته وعمله، وتزوج ثلاث مرات.

على الرغم من أن توجهه الأدبي في بادئ الأمر كان صوب الشعر إلا أنه في ما بعد ألف روايات فلسفية عديدة ومتنوعة؛ وكان يغلب على بعض الروايات طابع التفكر العقائدي المتشكك مثل رواية دميان؛ وحصل على جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٤٦

تحولات بيكتور

حالما دخل بيكتور الجنة وقف أمام شجرةٍ، تلك التي كانت في آنٍ معاً رجلاً وامرأة. حيا الشجرة باحترام وسألها: "هل أنت شجرة الحياة؟" حالما بدأت الأفعى، عوضاً عن الشجرة، بإعطائه جواباً، إستدار وأكمل سيره. كان عيناً خالصة، كل شيء يقع من نفسه حسناً. بوضوح شعر أنه في الوطن، في منبع الحياة. مرة أخرى رأى شجرة، تلك التي كانت في آن معاً شمساً وقمراً.

كلمها: "هل أنت شجرة الحياة؟"

الشمس أومأت وضحكت، والقمر أومأ وابتسم.

الأزهار الأكثر جمالاً نظرت إليه بألوانها وأضوائها الكثيرة، بعيونها ووجوهها الكثيرة. بعضها أومأت وضحكت، بعضها أومأت وابتسمت، الأخريات لم يومئن ولم يبتسمن: هن الثملات الصامتات، المغرقات في أنفسهن، كأنهن غريقات في عطورهن الخاصة. زهرة غنت أغنية البنفسجي، أخرى غنت أغنية النوم الكحلية. زهرة من الأزهار كانت بعينين زرقاوين واسعتين، واحدة أخرى ذكرته بحبه الأول. زهرة كانت برائحة مثل حديقة الطفولة، مثل صوت الأم يُشمُّ عطرها الحلو. زهرة أخرى ضحكت له ومدت نحوه لساناً أحمر مائلاً. ذاقه بيكتور، كان طعمه حاداً وبرياً مثل صمغ وعسل، وأيضاً مثل قبلة امرأة.

وقف بيكتور بين الأزهار ممتلئاً لهفة وبهجة وَجِلة. قلبه، كما لو كان جرساً، خفق بصعوبة، خفق بصوت عال، خفق كثيراً؛ إحترق في المجهول، في الحدس الساحر المرغوب بلهفة. رأى بيكتور طائراً جالساً، رآه على العشب جالساً يتلألأ من الألوان، وكأن كل الألوان فيه. سأله بيكتور: "آه، أيها الطائر، أين هي السعادة؟"

"السعادة" ، تكلم الطائر الجميل وضحك منقاره الذهبي: "السعادة، يا صديقي، في كل شيء، في الجبال والوديان، في الأزهار والكريستال".

بهذه الكلمات هز الطائر الجذل ريشه، حرك عنقه، أرجح ذيله، رفَّ عينه، ضحك مرة أخرى، ثمَّ بقي جالساً دون حراك، جلس ساكناً على العشب، ثمَّ انظر: تحول الطائر الآن إلى زهرة ملونة، الريش أصبح ورقاً، المخالب جذوراً. في بريق الألوان، في منتصف الرقص، كانت النبتة. ذاهلاً رآه بيكتور.

بعد ذلك مباشرة حركت الزهرة -الطائر- أوراقها، لقد شبعت من كونها زهرة، لم تعد بحاجة إلى تجذر أكثر، تحركت قليلاً، تأرجحت ببطء نحو الأعلى، وتحولت إلى فراشة متألقة حامت بلا وزن، بلا ثقل، بلا ضوء، كوجه متوهج تماماً. إتسعت عينا بيكتور.

لكن الفراشة الجديدة -الفراشة،الزهرة،الطائر- الملونة السعيدة، الوجه الملون المضيء، طارت في دوائر حول بيكتور المذهول، تألقت تحت الشمس، ومثل نُدْفَة دنت برفق من الأرض وجلست قرب قدميه، تنفست برهافة، ارتعشت قليلاً أجنحتها اللامعة، وفي التو تحولت إلى كريستال ملون سطع من أطرافه ضوء أحمر. مدهشاً أضاء الحجر الكريم الأحمر بين العشب والحشائش الخضراء، براقاً مثل موسيقى إحتفالية. ولكن، يبدو أن وطنه ناداه، إذ سريعاً ما صَغُر وأوشك على التلاشي.

هنا أمسك بيكتور، بفضول وتهلف شديدين، الحجر المتناقص، وببهجة نظر إلى الضوء السحري الذي بدا له وكأنه يمنحه معرفة الروح في قلبه.

فجأة على غصن شجرة ميتة تلوت الأفعى وهمست في أذنه: "الحجر يحولك إلى أي شيء تريد. قل بسرعة أمنيتك قبل أن يفوتك الوقت".

صُدم بيكتور وخشي أن تضيع سعادته. بسرعة قال الكلمة وتحول إلى شجرة. أن يكون شجرة هذا ما تمناه بيكتور مرات عدة، لأن الأشجار تملؤه هدوءاً وطاقةً وكرامة. بيكتور أصبح شجرة. نما إلى الأعلى. تبرعمت أوراق وأغصان على قامته. كان راضياً، بجذوره العطشى المتحركة عميقاً في الأرض الرطبة، بتأمله مع أوراقه المرتفعة في الزرقة. في قشرته سكنت خنافس، وقرب قدميه سكن أرنب وقنفذ، وفي أغصانه سكنت الطيور.

بيكتور-الشجرة كان سعيداً ولم يعدّ السنوات المنصرمة. سنوات عديدة مرت قبل أن يلاحظ أن سعادته ليست كاملة. ببطء تعلم أن يرى بعيني الشجرة فقط. وفي النهاية رأى

أنه أصبح تعساً. فقد راقب حوله أغلب المخلوقات في تحول مستمر. نعم، كل شيء كان يحدث في هذا النهر السحري من التحولات الكثيرة. راقب الأزهار وهي تتحول إلى أحجار كريمة، أو إلى طيور لامعة تحوم في المكان. راقب حوله بعض الأشجار، واحدة تلو الأخرى، تختفي: واحدة ذابت في المنبع، وأخرى تحولت إلى تمساح، واحدة أخرى سبحت منتعشة وسعيدة، مليئة بالرغبة، بحواس نشيطة مثل سمكة. في أشكال جديدة كانت الأشجار تبدأ ألعاباً جديدة. أفيال بدلت أثوابها بصخور، وزرافات بدلت هيئاتها بزهور.

فقط هو، بيكتور-الشجرة، بقي دائمًا على ما هو عليه، لم يكن بإمكانه التحول مرة أخرى. منذ أن أدرك ذلك ذهبت سعادته بعيداً، بدأ يشيخ وأخذت وقفته شكل المغموم الجاد المتعب، ذلك الشكل الذي كثيراً ما يراه المرء في الأشجار المتعبة. وأيضاً في الأحصنة، في الطيور وفي الناس، وفي كل المخلوقات يستطيع المرء أن يراه يومياً؛ عندما لا تملك تلك الكائنات نعمة التحول، تسقط مع الزمن في الحزن والضمور، ويضيع جمالها.

في يوم من الأيام مشت فتاة صغيرة في طرقات الجنة. بشعرها الأشقر وثوبها الأزرق رقصت وغنت تحت الأشجار، ولم تفكر أبداً في تمني التحول.

بعض القردة الحكيمة تلفتت إليها مبتسمة، وبعض الشجيرات لامستها بفروعها بحنان، بعض الأشجار رمت لها زهرة، جوزة، وتفاحة أيضاً، والفتاة لم تعر أيًا من ذلك انتباهاً.

حالما لمح بيكتور-الشجرة- الفتاة تلبّسه توق كبير، لهفة نحو السعادة لم يشعر بها من قبل. في نفس الوقت تلبّسه شكه العميق، فقد بدا وكأن دمه يقول: "تَفَكَّر، تذكر في هذه الساعة حياتك كلها، جد المعنى، وإلا سيكون الوقت متأخراً، ولن يكون لك حظ في السعادة". بيكتور أطاع. تذكر كل شيء عن نشأته: سنوات حياته البشرية، طريقه نحو الجنة، وبشكل خاص تلك اللحظة، اللحظة التي احتضنت يداه فيها الحجر الكريم؛ حينها، عندما كان كل تحول متاحاً أمامه، كانت الحياة تتجمر في داخله كما لم يحدث أبداً. فكر بالطائر الذي ضحك في الماضي، وبشجرة الشمس والقمر؛ عرف أنه قد فوت شيئاً ما، قد نسي شيئاً ما، وأن نصيحة الأفعى كانت سيئة.

سمعت الفتاة حفيف أوراق بيكتور-الشجرة- نظرت إليه، إلى أعلى، وشعرت بألم مفاجئ في القلب. أفكار جديدة، منى جديدة، وأحلام جديدة تحركت في داخلها. وحين سحبتها تلك

القوة المجهولة جلست تحت الشجرة. بدت لها الشجرة وحيدة، وحيدة وحزينة، ومع ذلك جميلة، بحزنها الأخرس الذي يضفي عليها جلالاً ونبلاً؛ سحرتها أغنية الحفيف، فاستندت على جذعها الخشن. شعرت بذعر الشجرة العميق، وطالها ذعر شبيه في قلبها. غريب كم آلمها القلب، فوق سماء روحها تحركت الغيوم، وببطء تدحرجت من عينيها دموع ثقيلة؛ ما الذي حدث؟ لماذا تجب على الإنسان المعاناة؟ لماذا يريد القلب أن يفجر الصدر، ويسيل إليها، فيها، تلك الشجرة الجميلة[١]؟

إرتعش بيكتور-الشجرة- حتى الجذور، وبشدة وجّه كل طاقات الحياة فيه سوية إلى الفتاة أمامه، في رغبة مستعرة في الإتحاد. آخ، لقد خدعته الأفعى، إلى الأبد سيبقى وحيداً في شجرة محددة! آه كم كان أعمى، كم كان أحمق! أكان يجهل كل شيء، أكان بعيداً كل هذا البعد عن سر الحياة؟ كلا، لقد راودته مشاعر وظن قاتم من قبل. آخ، بحزن وفهم عميقين فكر بالشجرة التي كانت في آن معاً ذكراً وأنثى.

صوبهم طار طائر، طائر أحمر وأخضر، طائر جميل وقوي، راسماً قوساً بمجيئه. الفتاة رأته، رأت شيئاً يسقط من منقاره، شيئاً مضيئاً وأحمر كالدم، أحمر كالجمر، سقط بين الحشائش الخضراء وأضاء فيها مثل شيء مألوف. لمعانه الأحمر أعلن عالياً أن الفتاة انحنت والتقطته. كان كريستالاً، كان جوهرة، حيث تكون لا يكون ظلام.

بهدوء أمسكت الفتاة الحجر الكريم في يدها البيضاء، وفي التو، الأمنية التي ملأت قلبها تحققت. الجميلة أضحت ضبابية، تضاءلت وأصبحت واحداً مع الشجرة. نبتت غصناً فتياً قوياً على جذعها، ونمت بسرعة إلى أعلى.

الآن أصبح كل شيء في مكانه، العالم على ما يرام. الآن وُجدت الجنة. بيكتور لم يعد شجرة مغمومة. غنى عالياً: بيكتوريا، ڤيكتوريا.

لقد تحول. ولأنه كان صائباً هذه المرة وصل إلى التحول الأزلي، لأنه إنتقل من النصف إلى الكمال إستطاع منذ تلك الساعة أن يتحول أيضاً على قدر ما يشاء. النهر السحري للصيرورة جرى في دمه، وإلى الأبد أصبح جزءاً من الخلق المستمر.

أصبح ظبياً، سمكة، أصبح إنساناً وأفعى، غيمة وطائراً. وفي كل هيئة كان حاضراً بالكامل. في داخله كان زوجاً، شمساً وقمراً، ذكراً وأنثى. تدفق كنهر توأمي عبر الأرض، ووقف كنجم توأمي في السماء.

[١] الشجرة، في اللغة الألمانية، مذكر. ولهذا فإن لهذه الفقرة، وهذه الجملة تحديدًا، في لغتها الأصلية، صيغة عشقية من الصعب تعريبها.



- إسم القصة : غليون الجندي

- تأليف : ايليا إيرنبورج

- ترجمة : د . أحمد الخميسي

- نبذة عن الكاتب :

روائي وشاعروسياسي سوفيتي.

غليون الجندي

يظل ضوء النجمة الهادىء سارياً ألوف السنين قبل أن يبين للبشر، لكن عمر الإنسان قصير: طفولة ولعب، حب وعمل، مرض ثم موت.

إشتعلت حرب، سيتخيرون لها فى وقت ما صفة "كبرى" أو "صغرى"، حتى يسهل تمييزها بسرعة من الحروب السابقة، والأخرى اللاحقة. أما الذين عاشوا ذلك العام فقد عدوها "حرباً" فحسب.

وقعت الحرب، وقرب أكوام الحجارة، التى كانت مسماة فيما مضى: مدينة ايبرو البلجيكية، إنبسطت قطعة أرض صغيرة المساحة، جلس عليها، وأكل، ومات، أناس غرباء وافدون من بعيد، أطلقوا عليهم إسم: "كتيبة خط الطول ١١٨ التابعة للجيش الفرنسي". وكانت تلك الكتيبة مؤلفة من الفلاحين وصناع النبيذ والرعاة فى قرية "بروفانس" بجنوب فرنسا. وطوال ستة أشهر كاملة، أكل أولئك الناس (ذوو الوجوه السمر والشعور المجعدة) فى الحفر الطينية، ناموا فيها، أطلقوا النيران، ماتوا وأياديهم تنتفض إلى أعلى.

وهناك فى هيئة الأركان، رسموا فوق الخارطة، عند مواقع "المعبر الأسود"، علامة تحدد أن كتيبة خط الطول ١١٨ تحمي المواقع هناك.

وعلى بعد خمسمائة خطوة جلس أناس آخرون، تحدثوا بلغات مختلفة، وأطلقوا هم أيضاً النيران، وبدوا أضخم وأشد فظاظة وأميل إلى البياض زرق العيون، وكان السمر ذوو الشعور المجعدة قلة بينهم. هؤلاء كانوا مزارعين من "بوميران" بألمانيا، أطلقت عليهم هيئة الأركان إسم: "كتيبة الاحتياط ٨٧ التابعة للجيش البروسي".

كانت الكتيبتان عدوتين، تفصل بينهما قطعة أرض، قال عنها صناع النبيذ والمزارعون إنها "بلا صاحب"، قطعة أرض لم تكن تابعة للمملكة البلجيكية، ولا للجمهورية الفرنسية، ولا للإمبراطورية الألمانية. قطعة أرض أحرقتها القنابل، وأكلتها بالطول وبالعرض الخنادق المهجورة الممتلئة حتى حافتها بعظام البشر والمعادن الصدئة. هكذا، كانت تلك الأرض

هالكة، و"بلا صاحب"، لم تسلم فيها عشبة واحدة، فاحت كلها (فى منتصف يوليه) بعطن الدم، والبراز. ومع ذلك، فإن البشر أبداً لم يتقاتلوا للإستيلاء على أي بستان مبارك، نضير الثمار مورق النبات، كما تقاتلوا للإستيلاء على قطعة الأرض الخاوية تلك، والمشتهاة. ففي كل يوم، ظل يزحف إنسان ما، من الأراضي الفرنسية أو الألمانية، إلى المكان الذي يقال إنه "بلا صاحب"، يزحف وهو يمزج الطين بخيوط من الدماء.

قال البعض إن فرنسا تخوض الحرب من أجل الحرية، وقال البعضُ الآخر إنها تسعى لنهب الحديد والفحم. أما "بيير ديبوا"، جندي كتيبة خط الطول ١١٨، فقد حارب لا لشيء، إلا لأن الحرب قد اندلعت. قبل ذلك، إشتغل "بيير ديبوا" بزراعة العنب، وحين كان المطر يسح طوال أيام متتالية، أو تهاجم حشرة "فيلوكشر" الكروم، كان "بيير ديبوا" يقطب وجهه، ويسوط كلبه حتى لا ينوش العنب. وفي السنة الندية، كان يبيع الأعناب بثمن مربح، ويرتدي صدارته المنشاة، ويمضي إلى أقرب بلدة. وهناك يلهو كيفما يمكنه اللهو فى حانة "ملتقى الأمراء": يخبط الجرسونة على ظهرها العريض ويلقى فى ثقب مكنة الموسيقى قطعتي "سو"، ثم يستمع إلى الألحان المنتخبة فاغراً فاه. ولم يمرض "بيير" إلا مرة واحدة، حين ظهر له دمل فى أذنه، وكان موجعاً للغاية. وفى صغره، كان مغرماً بامتطاء ظهر الماعز، وسرقة التين المجفف أينما خبأته أمه. وكانت له زوجة هي "آنا"، يضغط بعشق أغلب الوقت نهديها المتماسكين كعنقودي عنب.

هكذا، مضت حياة "بيير ديبوا"، إلى أن خاضت فرنسا الحرب، دفاعاً عن الحرية، أو لنهب الفحم، فصار "بيير ديبوا" جندياً فى كتيبة خط الطول ١١٨ التابعة للجيش الفرنسي.

فى مواجهة "بيير ديبوا"، وعلى بعد خمسمائة خطوة منه، جلس "بيوتر ديباو". ولم تكن حياة "بيوتر ديباو" تشبه فى شيء حياة "بيير ديبوا"، مثلما لا تشبه البطاطس الأعناب، ومثلما لا يشبه الشمال الجنوب. ولكنها كانت فى نفس الوقت تشابهها من دون حد، مثلما تشبه كل ثمار الأرض بعضها البعض، وكل البلدان، وكل الحيوات بعضها البعض.

لم يذق "بيوتر" العنب طيلة عمره، كان يرمقه فقط وهو معروض خلف زجاج المحلات. ولم يكن مغرماً بالموسيقى، لكنه كان يشارك الآخرين لعبة السبعة أوتاد فى أيام الأعياد، ويتجهم حينما تحمو الشمس وينعدم المطر، لأن العشب يصفر فى ذلك الوقت، وتدر الأبقار

لبناً فاسداً. لم تمرض أذناه أبداً. فقط توعك ذات يوم، فرقد أسبوعاً طريح الفراش وهو يعاني من سخونة شديدة. وكان، فى صباه، يلعب مع كلبه الهرم "تاكسا"، ويتصيد بقبعته البقع الشمسية داخل الغرف. كانت زوجته "يوهانا" بيضاء مثل اللبن، لينة كالبطاطس المسلوقة، وكان هو مفتوناً بذلك.

عاش "بيوتر" على هذا النحو، إلى أن قال البعض إن ألمانيا بدأت تقاتل فى سبيل الحرية، وقال البعض الآخر إنها تريد الإستيلاء على الحديد والفحم. فصار "بيوتر" جندياً فى كتيبة الإحتياط ٨٧.

ولم تكن هناك حرية فى قطعة الأرض التي "بلا صاحب"، ولم يكن هناك فحم، لم يكن هناك سوى عظام البشر، والأسلاك الصدئة. ولكن الناس أرادوا أن يظفروا بقطعة الأرض تلك، مهما كلفهم ذلك.

وقد أمعنت هيئة الأركان التفكير فى ذلك الهدف، وأدرجته فى المستندات والوثائق، وقام أحد الضباط، فى ٢٤ أبريل ١٩١٦، باستدعاء الجندي "بيير ديبوا" إلى مكتبه وهناك أصدر إليه أمراً بالزحف فى الثانية بعد منتصف الليل، عبر الخندق المهجور المسمى "ممر العواء" حتى مواقع القوات الألمانية، لكي يستكشف بدقة أماكن تمركز القوات المعادية.

لم يتجاوز "بيير ديبوا" الثامنة والعشرين من عمره، وهذا بالطبع عمر قصير للغاية إذا قسناه بنور النجمة الساكن الذى يسري بضع مئات من السنوات.

أنصت "بيير" إلى أمر الضابط، لكن عقله كان منشغلاً بالتفكير فى خاطر آخر: (حشرة "فيلوكشر" تبيد الأعناب، والمرض يفنى الإنسان، والآن.. الحرب. وإذن، لابد من حساب عمر الإنسان بالساعات، لا بالسنوات. وهكذا، مازالت أمامه ثلاث ساعات وخمس عشرة دقيقة حتى ميعاد تنفيذ الأمر).

وأسعفه الوقت فحاك زراً كان قد سقط، وكتب لزوجته "آنا" يوصيها برش الكيماويات على الكروم التي لم تنضج، وارتشف بصوت مرتفع قدحاً من القهوة المرة السوداء.

في الثانية بعد منتصف الليل، شرع "بيير" يزحف على الطين الأملس لكي يستولي على الأرض التي "بلا صاحب". واستغرق "بيير" مدة طويلة وهو يمر فى الخندق المسمى "ممر

العواء"، مرتطماً بعظام البشر والأسلاك الشائكة، حتى بلغ نهاية الممر. هناك، بانت له فى الجهة اليمنى، واليسرى، خنادق أخرى، مهجورة ويتيمة مثل بيوت منبوذة.

وتروى "بيير" مفكراً "في أي الإتجاهين" يمضي؟ ولكن.. ألا يقود كل من الإتجاهين إلى الموت؟ وقرر أن يلتقط أنفاسه. وهكذا، أشعل غليونه، غليون جنود الجيش، المتواضع، المتسخ من الطين.

كان الجو هادئاً تماماً. عادة يطلق الجنود بالنهار النيران مدوية، أما في الليل فيقتلون بعضهم البعض من غير ضوضاء، حين ترسل القيادة المستكشفين من أمثال "بيير" فى مهمة ما، أو تنصب الكمائن المموهة.

إبتلع "بيير" دخان غليونه، وتطلع إلى السماء التى رصعتها النجوم بكثافة. لم يزن "بيير"، لا ولم يخمن، ولم يقارن هذا الكون الواسع بقريته الصغيرة "بروفانس". لكنه فقط قال لنفسه: "لو يكون الآن ليل مثل هذا هناك فى الجنوب، فيفيد العنب، ويبهج قلب "آنا" فهي تعشق الليالي الدافئة.

كان يدخن راقداً، منتشياً بكل الدفء الساري فى جسمه، وبأنه مازال حياً فوق هذه الأرض الماحلة التي "بلا صاحب"، يدخن ويتنفس، بل وفى وسعه أن يهز يده أو يحرك ساقه.

ولم يكد "بيير" يشعل غليونه من جديد، حتى لاح قبالته وجه إنسان ما من خلف الزاوية هناك. شخص يزحف نحوه. شخص كل ما فيه غريب: وجهه وخوذته وأزرار معطفه. ذلك كان "بيوتر ديباو"، مجرد عدو لـ "بيير"، مثلما أن الحرب مجرد حرب.

ولم يكن "بيير" يدري أن ضابطاً ألمانياً، قام فى نفس المساء، باستدعاء "بيوتر"، الذى رفأ هو الآخر معطفه، وكتب لـ "يوهانا" خطاباً يذكرها فيه بالاهتمام بالبقار العشروات، ثم احتسى الشوربة وهو يتمطق. لم يكن "بيير" يعرف بكل ذلك، وسواء أعرف أم لا، وسواء أفهم أم لم يفهم، فقد اعتبر "بيير" أن "بيوتر" عدوه، هذا لأن الحرب قد نشبت هذه السنة لا أكثر، لذا قوّس جسمه وتهيأ للوثوب والإشتباك حين أبصره يزحف في إتجاهه.

أيضاً، مد "بيوتر" يديه الإثنتين، وجمع ساقيه، وقدر أكبر قفزة يمكنه القيام بها، عندما شاهد عدوه قريباً منه إلى درجة أنه سمع دقات القلب الآخر.. الغريب.

رقدا، كل فى مواجهة الآخر.

وتريث كل منهما، لم يشأ لا هذا، ولا ذاك أن يكون البادئ بالقتال. وكانت يدا كل منهما على مرمى بصر الآخر. لم يتطلع أحد منهما إلى وجه الآخر "عدوه" لكن كلا منهما حملق إلى اليدين العدوتين.

ظل غليون "بيير" مشتعلاً.

رقد العدوان قريبين من بعضهما البعض، زاهدين فى القتل، مدركين، على الرغم من ذلك، أن الإقتتال حتمي. إستلقيا بهدوء، وتنفس كل منهما فى وجه الآخر بصوت مسموع، وتشمم كل منهما كوحشين رائحة وبرة أخيه: الغريبة، الأليفة والحميمة، رائحة المعطف المبلل والعرق الإنساني، الطين والشوربة. قدما من أراض بعيدة إلى أراض غريبة، "بلا صاحب" وقد أدركا أنه "لابد من قتل العدو". لم يحاولا أن يتكلما معاً، فما أكثر البلدان الغريبة، وما أكثر اللغات الغريبة، فقط تمددا متجاورين فى سكون، وقد تصاعد بينهما دخان الغليون.

وقدر "بيوتر" أن أية حركة يقوم بها بيديه للتوصل إلى غليونه، تنطوي على خطورة، لذلك إكتفى باستنشاق الدخان المتصاعد بنهم. حينذاك مد "بيير" رقبته ليدنو من رأس "بيوتر"، فتناول "بيوتر" بأسنانه الغليون من فم "بيير"، وعلى الرغم من ذلك فإن الأعين الأربع، لم تفلت من مجال رؤيتها، الأيادي الأربع الغريبة.

بعد أن سحب "بيوتر" عدة أنفاس من الغليون، أعاده إلى "بيير"، فشد منه نفساً ثم قدمه مرة ثانية إلى عدوه دون طلب منه. تبادلا الغليون عدة مرات، ودخنّا باستمتاع. العدوان اللذان رقدا فوق قطعة أرض "بلا صاحب" ويجب الإستيلاء عليها مهما تكلف ذلك. وكانا يبتلعان الدخان على مهل، وبحذر.. ببطء شديد للغاية. وبينما يسري النور الهادىء ألوف السنين، كان هذا الغليون بالنسبة لواحد منهما آخر غليون يدخنه، وقد أدرك الإثنان ذلك. ووقعت الكارثة حين كفت النار عن التواصل فى الغليون فانطفأ، لأن واحداً منهما إستغرق في خاطر من خواطره فلم يطل بأنفاسه فى اللحظة المناسبة عمر الغليون القصير. أهو "بيير" وهو يتذكر "آنا" السمراء؟ أم أنه كان "بيوتر" وهو يودع فى خياله "يوهانا" البيضاء؟ واحد منهما على أية حال. وأدركا على الفور إستحالة المخاطرة

بإخراج القداحة، فأقل حركة باليدين تعني التطاحن حتى الموت. وعلى الرغم من ذلك، قرر أحدهما أن يجازف.. وكان هو البادىء. أهو "بيير" الذي كان يدافع عن الجمهورية الفرنسية محتفظاً بقداحة ذات فتيل فى جيبه الخلفى؟ أم "بيوتر" الذي احتفظ بعلبة ثقاب وهو يدافع عن الإمبراطورية الألمانية؟ واحد منهما على أية حال...

وأخذ كل منهما بخناق الآخر، وهوى الغليون غارقاً فى الوحل. قام كل منهما بخنق وضرب الآخر، فى صمت، وهما يتمرغان على الأرض. وأخيراً، أصابهما الهدوء، ورقدا فى وداعة متجاورين، لكن من دون الغليون. رقدا ميتين على أرض ماحلة "بلا صاحب".

وسرعان ما تلاشت الأضواء الهادئة التى كانت النجوم ترسلها إلى الأرض، وشع نور الفجر، وكما يحدث كل يوم، ما أن شاهد الناس ـ الذين يقتتلون من غير ضوضاء ليلاً ـ أشعة الشمس، حتى أخذوا يقتتلون بصوت عال، مطلقين نيران المدافع والبنادق.

ووصلت إلى هيئتى الأركان مذكرتان، تحويان إسمي جنديين مفقودين. وكان الإسمان متشابهين إلى أقصى درجة، ومختلفين إلى أقصى درجة. وتسلل، بليل نفس اليوم، إلى الأرض التي "بلا صاحب"، أناس آخرون، ليقوموا بما لم يستطع "بيير"، و"بيوتر" القيام به، تسللوا لا لشيء إلا لأن الحرب نشبت فى ذلك العام.

بكت "آنا" السمراء "بيير" وهى ترش العنب الذى لم ينضج فى قرية "بروفانس"، بكت طويلاً، وفى هذا الوقت، أدخلت إلى بيتها زوجاً آخر هو "بوليا"، هذا لأن شخصاً ما لابد أن يشذب الكروم، وأن يضغط نهديها المتماسكين كعنقودي عنب.

وبعيداً، فى قرية "بوميران"، بعيداً جداً عن "آنا"، ولكن أقرب بكثير مما بين نجمة وأخرى، هناك بكت "يوهانا" البيضاء وهى تضع الطعام أمام البقار العشروات، ولأن البقر يحتاج لرعاية دائمة، ولأن جسمها الأبيض كالحليب لم يكن ليستطيع الحياة بلا حنان، ظهر زوج جديد فى المزرعة هو "باول".

فى أبريل ١٩١٧، كفت الأرض التي "بلا صاحب"، باعثة العطن من الدم والبراز، عن أن تكون "بلا صاحب". حدث ذلك فى يوم دافئ ، مشمس، حين مات فوقها بشر بلا عدد، من مختلف البلدان، وحينذاك صارت التربة الصفراء المشبعة بالدم بالقانون ملكية خاصة لـ

"صاحب" ما. ومشى الناس للمرة الأولى على أرض الخندق المسمى "ممر العواء"، مشوا هادئين، دون أن يحنوا رؤوسهم. وفي نهاية الممر، عند المنحنى، حيث تتفرع خنادق أخرى يميناً ويساراً، شاهدوا هيكلين متعانقين، وغليون صغير بالقرب منهما على الأرض.

ها هو أمام عيني، ذلك الغليون المتواضع وقد تلوث بالطين والدم، الغليون الذي صار زمن الحرب "غليون السلام"، مازالت فيه بقية من رماد رصاصي: أثر من حياتين إشتعلتا أسرع مما تشتعل نتفة من تبغ.



- إسم القصة : ذيل هاهينا مخزن أحزان

- تأليف : بشرى الفاضل

- نبذة عن الكاتب :

أستاذ جامعي ، شاعر وقاص سوداني . ولد عام ١٩٥٢ بقرية ارقي بشمال السودان لكنه تلقى تعليمه بالجزيرة حيث ظلت تعيش أسرته حتى الآن بقرية ود البر. تخصص في اللغة الروسية، وعمل محاضراً بقسم اللغة الروسية، جامعة الخرطوم.

ذيل هاهينا مخزن أحزان

خرجت الكلبة هاهينا تبحث عن صديقها الكلب هواهي. فمنذ أكثر من سنة وهما في حالة حب ولكنهما حزينان تماماً، حيث أن الأمور لا تسير كما ينبغي، إيجار الأزقة الضيقة أصبح عشر قضمات من قبل عصابات الكلاب المقيمة فيها، بعد أن كان من قبل قضمة واحدة، وليس هنالك مفر من الأزقة الضيقة، لأن الشوارع الرئيسية تعج بالبشر الفضوليين الذين يقاطعون باستمرار المتع الخاصة بمعشر الكلاب.. ها هينا وهواهي ثنائي متميز وسط الجميع. هي جميلة بشكل لا يوصف عيناها حمراوان، أنفها معقوف وفكها مستدير وشفتاها بليلتان، شديدتا اللمعان، القبلة منها تسكر أي كلب. أما هو فمتين البنيان، رمادي اللون، وفي جبينه غرة.. حسن الصوت حين يغني، كثير الإطلاع، لامع العينين، الحركة من ذيله تسكر أي كلبة.

تعرفت هاهينا على صديقها في حلقة نقاش لأفكار الفيلسوف هوكس. كانت الحلقة غاصة بالكلاب.. كلاب خلاء، وأخرى منزلية، كلاب صيد وأخرى بوليسية، كلاب بدينة وكلاب نحيلة، كلاب عمارات، وكلاب مساكن شعبية، كلاب لا بوليسية ولا كلاب. ومن بين هذه أعجبها هواهي لفصاحته وجرأته ووسامته.

كانت هاهينا خارج الصورة في الحلقة، إذ لم تقرأ شيئاً للفيلسوف المذكور، بيد أنها لم تكن أمية، ولعل موانعها تأتي بالدرجة الأولى من مشاغلها الكثيرة.

دحض هواهي تخرصات الجميع في الحلقة، وحين إنفض سامر المجتمعين خرج منتشياً، تبعته هاهينا مصدرة صوتاً خجولاً، ولكنه مع ذلك جاذب للإنتباه، نهاية الأمر تعارفا. وبعد شهور تحابا. قال لها هواهي:

. تعرفين يا هاهينا، هوكس العظيم يقول:

(تبا للبشر، لا تثقوا فيهم، عطفهم عليكم دافعه حرصهم على ممتلكاتهم فحسب) هوكس هو المكتشف الأول لسر قتل الكلاب. سألت هاهينا بدورها:

- قل لي يا هواهي وهل إكتشف هوكس أسرار عذابات أصدقائنا في الحياة؟ لملم هواهي أطراف وجهه دقيق الملامح وبلع ريقه وأجاب: نعم.. نعم له كتاب (سر الإختفاء الفجائي للخراف والبقر والدواجن). وكتاب (عبودية الخيول والحمر والبغال) وكتاب (القطط

الوسيطة) وفيما يخصنا نحن، ألَّف هوكس كتاب (العظام عبر التاريخ) و (طريق الخلاص) ومقالة (بشرى للكلاب) ومسرحية (إختطاف) ومسرحية (لقمة السيد). وآخر كتبه المطبوعة كان (قصة الكلب البوليسي) ويعكف هذه الأيام في تحليل سيكولوجية كلاب العمارات.. سكتت هاهينا أعجبها جداً فرط ثقافة هواهي. نظرت إليه فاحتقن وجهها بفرح ملون وشغف كقوس قزح. فيما بعد حكت هاهينا الوقائع التالية:

- خرجنا أنا وهواهي نبحث عن العظام في دوائر الطعام الموجودة في أركان الأحياء. نبشنا ردحاً وعدنا (بخفي بوبي). وفي الطريق صاح هواهي: تعرفين يا هاهينا العظام نادرة هذه الأيام. كلاب العمارات أصابتها عدوى أسيادها فأصبحت تجمعها وتخزنها لتبيعها لنا فيما بعد. كنتُ أصغي باهتمام حين مد هواهي يده وتحسس وجهي فشعرت بلذة خاطفة. دنا مني وقبلني فانتشيت، قال لي: البشر يخجلون وأنت جاسرة؟ قلت له: جاسرة، جاسرة، خذ قبلة مرة أخرى. فمط فمه حتى سال لعابه وقبلني حتى غابت السماء بنجومها عن ناظري. حين عدت لوعيي كان هواهي يقول:

تعرفين يا هاهينا كلاب العمارت أصبحت تستورد طعامنا من الخارج لحم طازج وسمين وسهل النهش ماركة الفك، علبته بخمسين قضمة. هل ترغبين في فتة من هذا النوع؟ نظرت في ذيل هواهي المرح وقالت: (بَري يايمة) ضحك هواهي وجرى جانبا ثم قال: الآن أفخر بك يا هاهينا أنت في الصورة تماماً. يا لك من كلبة رائعة!! ثم أكمل جريته لا كرجل أحمق يلحق حافلة تضاهي سرعتنا ولكن كما تجري الريح لتنبئ بلداً أصابه المحل بفأل المطر. جرى هواهي وغنى:

- هو هو هاهينا

فردت عليه:

. هو هو هو هواهي

ثم حرك ذيله وفكه ففهمته وتبعته فرحة راضية، حين فرغنا كان الوقت مساء، إقترحت عليه أن نتفرج في التلفاز.. وكان هواهي يكره الفرجة.. كان يقول: برامج تافهة وفكر ضيق الأفق. ولكني أجبرته فرضخ لرغبتي فالأنثى هي الأصل. وفي فترة الأخبار، أطل كلب بارز عظام الفكين كث الحواجب ونبح حتى كاد أن يهشم الشاشة البلورية:

- هو هو هو هاو.. أحييكم بخير التحايا هاو.. ثم أردف: إن جماهير الكلاب خالية من السعر – هذا – وصرح مصدر مسؤول من قبل الأسياد بأن الكلاب لن تقتل بعد اليوم. في الحق،

فرحت ونظرت لهواهي فألفيته يقطب جبينه ويغمغم. في الصباح كنت نائمة مع هواهي في حفرته حين سمعت الصوت الهائل:

- طاااخ

صحوت مذعورة. كان هواهي غارقاً في دمائه وقبل أن أفتح فمي بالنحيب المرصرخ في وجهي بحزم:

- اهربي يا هياهينا وانجي بجلدك. فجعت لم أكن ساعتها أفكر في نفسي. دنوت من هواهي وقبلته. بدأت عيناه تذبلان. كان تعيساً وحزين بهت البريق في عينيه سيّما حين ألقى عليَّ نظرة أخرى وتلاشى كالغريق وهوى. تجمعت لدي إذ سمعت طرقعة البندقية شجاعة صدمت المناسبة، فقفزت السور العالي وجريت كما لم أعرف قبل، كانت الريح تعوي: آ آوووو... كان لساني ثقيلاً ومع ذلك طفقتُ أنشد:

- آه أيها الكلب الجميل هواهي يا حبيبي أيها اللا إنسان، اللا بوليسي، الخالي من السَّعر، قتلوك؟ هوْ هو يا هواهي يا هواي.

وجرى دمعي لا كما يجري دمع امرأة كاذبة في مأتم مفتعل ولكن كدمع التماسيح المفترى عليها.

هرولت خمسة أيام بلياليها. حتى وصلت غابة هوكس، فاستقبلوني بفرح عظيم وحكيت لهم الحكاية من صوت نفيرها حتى أدق حذافيرها عزوني وطايبوني وتجمعوا حولي.

في المساء ناولني أحدهم كتاب هوكس (العظام عبر التاريخ) مسحت دموعي وفتحت الصفحات الأولى لأقرأ :

"جُبل الإنسان على الفتك، الرجل مخلوق من فتك التماسيح، والمرأة من فتك الثعابين. أنت إنسان إذن أنت قاتل. أنت إنسان إذن أنت مريق دماء. كان الإنسان فيما مضى صديقاً للكلب. كانا يخرجان سوياً لصيد الحيوانات الشريرة، ولكن كان الإنسان يغدر بنا حين يستأثر باللحم ويترك لنا العظم ولو كان يدري أن العظم يقوي حاسة الشم ويهبنا القوة والجمال، لأخرجنا من المولد بلا حمص. ولو كان يدري أن اللحم يورثه المرض خاصة مرض السعر الذي ألصقه فينا زوراً وبهتانا، لأخرجنا من الحمص بلا مولد".

وفي الصفحة العاشرة قرأت :

"أول من اكتشف النار كان كلباً ولكن الإنسان يزيف التاريخ، كان جدنا مكتشف وأسمه بوبي، يحفر بيتاً قرب كهف لإنسان حقير، صادف الجد بوبي أثناء حفره حجراً أملس فأعمل فيه مخالبه فلم تجد فتيلاً. فأعمل فيه مخالبه بسرعة أكبر فتطاير الشرر ثم اندلعت النار. رأى الإنسان الذي بداخل الكهف المشهد. حمل هراوته الحجرية وطرد بها بوبي عاد بوبي لقبيلته بخفيه تحت إبطيه هذا هو أصل المثل عاد بخفي بوبي). عجبت غاية العجب ثم قرأت في صفحة مائة ما يلي:

"أول من ابتدأ الضحك كان كلباً واسمه لاف، رأى إنساناً يضرب أخاه بفأس، الأول يضرب ويضرب، والثاني يجري ويجري فيلحق به الأول ويلطمه فضحك لاف حتى برزت نواجذه ثم ضحك هو هو. فتلقفها الإنسان وحرّفها بحيث أصبحت ها ها ها. ووضع قانوناً أسماه الإعلال والإبدال. قال كلب هو هو، فصاغ الإنسان الضمائر: هو، هي، هما، هن، هم. إنفرجت أساريري وأصبحت سعيدة أثر قراءتي.

أفردت صفحة أخرى فقرأت:

"ألا لا يأكلن كلبٌ قوت كلب،

ألا لا يقتلن كلبٌ كلبا،

ألا لا يمنع كلبٌ كلباً من طلب العلم،

ألا لا يحرم كلبٌ كلباً من المتعة والفرح."

توغلت في البهجة وطال سرحاني، فأغلقت الكتاب، وعلى الغلاف الخلفي قرأت:

"ستعود مدينة الكلاب، وكما سبحت الكلبة لايكا في الفضاء سنعمر نحن هذا الجو."

ولا غناء إلا هو

ولا ضحك إلا هو

ولا كلام إلا هو

ولا إله إلا هو.

شعرت بسعادة غامرة عقب هذا الكلام حلو الجرس والديباجة.. وأدركت أني من قبيل سام المتفوق بحق وحقيق.

تصرّمت خمس دقائق، وأنا على حالي هذي، أتأمل وأتأمل الأفكار البديعة للسيد هوكس حتى جاءني جرو شاب بهي الطلعة كث الشعر على طريقة الجيل الجديد.. صفر لحناً جديداً على مسامعي ثم ناداني أن أتبعيني فتبعته، خرج بي حيث الامتدادات السكنية الجديدة المخصصة لحضرتك أيتها الأرملة الجليلة. قال هذا ثم أكمل بقية لحنه وعربد بذيله يمنة ويسرة تعبيراً عن كونه ارتاح لأداء واجب جميل كُلف به، ثم انصرف.

وبينما هو في منتصف الطريق صاح بي: أيتها الأرملة الجليلة إن كنت ترغبين في العمل بائعة في أكشاك بصل الكلاب زوريني غدا في مكتبي: (شارع لايكا عمارة ٣٠٠، الطابق الأرضي، الحفرة الخامسة).

تمطيت وتحسست الجروات العزيزات بنات هواهي في بطني قلت في نفسي، يالهن من جروات سعيدات إذ يخرجن بعد أيام وربما بعد ساعات، لا أدري، للنور في هذا البيت الجميل، في هذه الغابة الجميلة. سأعلمهن وسينتقمن لأبيهن ويثأرن.

هوكس يقول (رفض البشر المساواة وسنرغمهم على قبولها). دخلت في فراشي ولم أنم. ولمع في لحظة خاطفة خاطر عن هواهي النبيل وتناهت لمسامعي أصداء خافتة لصوت حزين غامض: أووو – أووو.

ولا بد أنني كنت في البرزخ ما بين النوم واليقظة حين قلت: غدا سنخرج جميعاً أجداداً وآباء وبنين وحفدة.. نخرج كالجمع الغفير بقضنا وقضيضنا، صعلوكنا ووقورنا، الكلبة الوالد والعاقر والعقور من الغابات والخلاء والجبال والأنهار، من ظلال الأشجار والآبار المهجورة والحقول والأدغال والشُعب والأمكنة والبطاح وسنلوّث أفواهنا الطاهرة بداء السعر من إنسان مصاب، وسنهجم على المدينة ونعمل أنيابنا فيها، ونعملها ونعملها، لا يحد الوباء مصل أو سلاح، سنعض أولاً التجار، فموظفي المكاتب، ثم المطربين الهابطين، وأصحاب المواصلات والأفران، والصحفيين وعمال الكبانيات والباعة المتجولين والكسالى والمرتشين، والأصدقاء والأعداء، المقامرين والمغامرين، أصحاب الكروش الضخمة والنحيلين، الراكبين، الراجلين، النائمين، اليقظين، التافهين، العظماء، الصم، البكم، اليتامى، وأبناء السبيل حتى إذا إنقضت أربعة أيام حسوما ظهرت طلائع السعر على الجيوش إياها، وسيقضم التجار رقاب الزبائن، وأصحاب الأفران، والكمائن سيقضمون المرائن، وأصحاب المقاهي سيقضمون آذان الرواد، يقضم الحديد البرَّاد، ونظار المدارس أصابع التلاميذ، والعشاق شفاه عشيقاتهم، والأطفال حلمات أثداء أمهاتهم، والأزواج سيقضمون نهود زوجاتهم بحالها، ولن تروي لهم غليلاً.

سيجدع الرجل أنفه

وتجدع المرأة لسانها

والطفل خياله

والكلاب أذيالها

يجدع الأسياد عقولهم، والخائفون قلوبهم، والشجعان حماقاتهم، والحاقدون أسنانهم المصطكة. والعطشى يجدعون حبهم للماء، (يذبح الخروف مسعود ومسعود يذبح الخروف، ويصيح الدود في العود: هو هو هو) تأكل المدينة أحياءها العشوائية، وتأكل الكلاب كرش المدينة وتقف المدينة عامودية على الشح، وتجيء أطراف المجاعة، وفي الصباح يكف الديك عن الصياح ويصرخ: آوووووو، والناس والحمر والبهم والخيل والليل والبيداء جميعها تصيح:

أ آ وووووو

ولا غناء إلا هو.

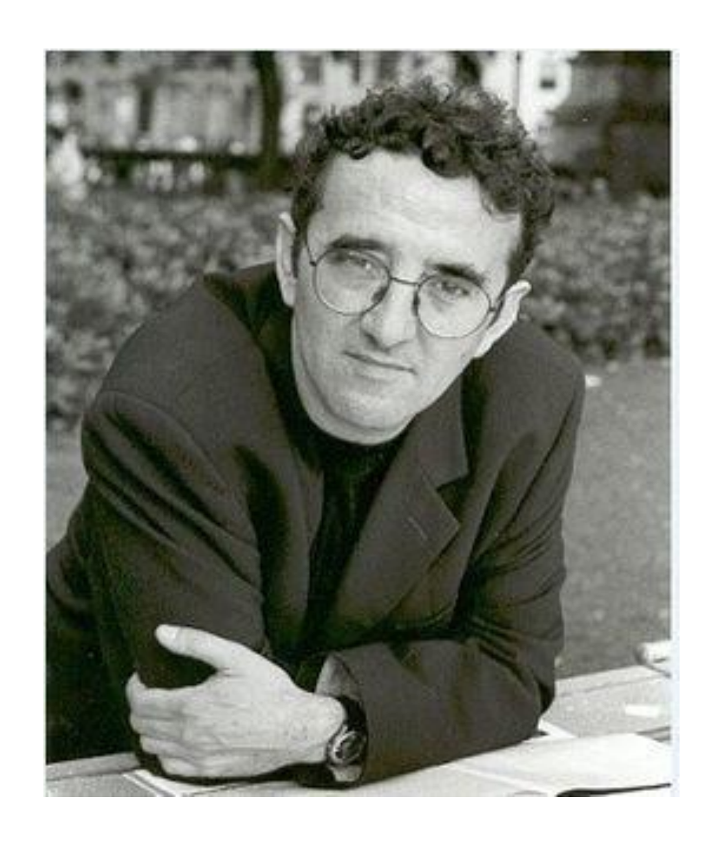
لا كلام إلا هو. طفح الكيل وبلغ السيل مواطن الوجع.

تنهدتُ ولا أدري كم مكثت على حالي تلك ولكنني صحوت بعد أن ظننت أنني سأموت. كانت بجانبي خمس جروات لا أدري كيف هبطن ومن أين. وكانت عليّ آثار المخاض. غنّت الجروات..

- هيو هيو أيايا أيايا، فنبست لي نفسي

- ويح قلبي جائعات!

كانت السماء شديدة الصفاء، نجمة الكلاب المضيئة نفّضتْ عينها فتطاير منها شعاع أصفر غمر الكون كله. وشهدت بأم عيني العشب ينمو، والنمل يجمع قوته، والطيور تصدح، وغمرني فرح فجائي حتى انحدرت دمعة في عيني اليسرى وما صددتها، ثم في اليمنى وما صددتها، وصرت شديداً جداً أبكي: أبكي ثم أبكي ملء الفم والحنجرة والذاكرة، في ذلك الصباح المشرق.



• إسم القصة : مكالمات تليفونية

• القاص : روبرتو بولانيو

• تأليف : أحمد يماني

• نبذة عن الكاتب :

هو كاتب وشاعر تشيلي ولد بمدينة سانتياغو عاصمة تشيلي في ٢٨ أبريل عام ١٩٥٣ م وتوفي في مدينة برشلونة الإسبانية في ١٥ يوليو عام ٢٠٠٣ م ، حصلت روايته المخبرون المتوحشون على جائزتي هيرالدي عام ١٩٩٨ م وروMولو جايجوس عام ١٩٩٩ م. تحول بولانيو بعد وفاته إلى أحد أكثر الكتاب المؤثرين في الأدب الإسباني وهذا ما تؤكده العديد من المنشورات المخصصة لأعماله كما يؤكده انضمام ثلاثة من رواياته وهي : (٢٦٦٦، نجم بعيد ، والمخبرون المتوحشون) التي تم ذكرها سابقاً - لقائمة أفضل مائة كتاب في الخمسة وعشرون سنة الأخيرة والتي قام بوضعها ٨١ كاتب وناقد أمريكي لاتيني وإسباني في عام ٢٠٠٧ م

مكالمات تليفونية

كان "ب" مغرماً بـ"س". بالطبع يتعلق الأمر بحب بائس. كان "ب"، في إحدى مراحل حياته، مستعداً لعمل أي شيء من أجل "س"، وهو تقريباً ما يفكر به ويقوله كل المحبين. تقطع "س" علاقتها معه. تقطعها معه عبر الهاتف. في البداية بالتأكيد عانى "ب". لكن بعد وقت، كما هي العادة تعافى. الحياة كما يقولون في مسلسلات التليفزيون تستمر وتمر الأعوام.

في إحدى الليالي التي لم يكن لديه فيها شيئاً ليفعله، إستطاع "ب" بعد مكالمتين هاتفيتين، أن يكون على اتصال بـ"س". وكل منهما لم يعد شاباً وهذا واضح من صوتيهما اللذين يعبران إسبانيا من طرف إلى طرف. ولدت الصداقة من جديد وبعد عدة أيام قررا أن يلتقيا. كل منهما يجر وراءه طلاقاً وأمراضاً جديدة وإحباطات.

عندما إستقل "ب" القطار كي يذهب لمدينة "س"، لم يكن واقعاً في حبها. قضيا اليوم الأول مغلقين عليهما الباب في بيت "س"، يتحدثان عن حياتهما (في الواقع كانت "س" هي التي تتحدث و"ب" يستمع وبين الحين والآخر يطرح سؤالاً). في الليل دعته ليشاركها السرير. في الحقيقة لم تكن لدى "ب" رغبة لينام مع "س"، لكنه وافق. في الصباح عندما إستيقظ، وقع في غرامها مرة أخرى. لكن أيكون قد أحب "س" أم أنه أحب فكرة الحّب ذاتها؟ علاقتهما إشكالية وحادة: تقترب "س" كل يوم من الإنتحار وتخضع لعلاج نفسي (حبوب، حبوب كثيرة رغم أنها لا تساعدها بشيء) تبكي كثيراً ودون سبب ظاهر. هكذا إعتنى "ب" بها. عنايته لها حنونة ومثابرة، ولكن رغم ذلك رعناء. كانت عنايته بها تحاكي عناية محبّ حقيقي، و"ب" لم يتأخر في فهمه لهذا. حاول أن يخرج "س" من إكتئابها لكنه لم يفلح سوى في وضعها في طريق مسدودة أو أن "س" إعتبرته كذلك.

أحياناً، عندما يكون وحيداً أو عندما يتأمل "س" وهي نائمة فإنه يفكر أيضاً أن الطريق مسدودة بالفعل. حاول أن يتذكر حبه الضائع كنوع من أنواع الترياق، حاول أن يقنع نفسه أنه يمكنه العيش دون "س"، وأنه يمكنه النجاة بمفرده. في إحدى الليالي طلبت "س" إليه أن يرحل، فأخذ "ب" القطار وغادر المدينة. ذهبت "س" للمحطة كي تودعه. كان الوداع ودياً ويائساً. سافر "ب" في عربة النوم لكنه لم يستطع النوم حتى إلى وقت متأخر. عندما غفا أخيراً حلم بقرد من الثلج يمشي في الصحراء. طريق القرد ضيقة، وربما كان مشرفاً على الهلاك.

لكن القرد يفضل ألا يعرف هذا ودهاؤه يستحيل إلى إرادة: يمشي بالليل عندما تكنس النجوم المثلجة الصحراء. عندما إستيقظ (في محطة سانتس في برشلونة) أراد أن يفهم "ب" معنى الحلم (إذا ما كان يحمل معنى) وكان قادراً على الوصول إلى بيته بأقل قدر من العزاء. تلك الليلة هاتف "س" وحكى لها الحلم وهي لم تقل شيئاً. في اليوم التالي عاد لمهاتفتها وكذلك فعل في اليوم الذي بعده. كان سلوك "س" يتسم بالبرودة في كل مرة أكثر وأكثر كما لو كان "ب" مع كل مكالمة يبتعد في الزمن. إنني أختفي، يفكر "ب". إنها تشطبني وهي تعرف ماذا تفعل ولماذا تفعله. في ليلة أخرى هدد "س" بأخذ القطار وبأنه سيكون مزروعاً في بيتها في اليوم التالي.

لا يخطرن ذلك على بالك، تقول "س". سأذهب، يقول "ب"، لم أعد أحتمل هذه المكالمات التليفونية، أريد أن أرى وجهكِ حين أتحدث إليك. لن أفتح لك الباب، تقول "س"، ثم تضع السماعة. "ب" لا يفهم شيئاً. لوقت طويل فكر في كيفية أن ينتقل كائن بشري بمشاعره ورغباته من أقصى طرف إلى أقصى الطرف الآخر.

بعد ذلك كان يسكر أو يبحث عن العزاء في كتاب. وتمر الأيام.

في إحدى الليالي، بعد مرور نصف عام، "ب" هاتف "س". "س" تأخرت في التعرف على صوته. آه، إنه أنت، قالت. برودة "س" هي من النوع الذي تقشعر له الأبدان. شعر "ب"، مع ذلك، أن "س" تريد أن تقول له شيئاً. إنها تنصت إليّ كما لو أن الزمن لم يمر، فكر، كما لو أننا تحادثنا بالأمس. كيف حالك؟ قال "ب". احك لي شيئاً. و"ب" ترد بكلمة واحدة. وبعد مضي القليل من الوقت أغلقت السماعة. مضطرباً يعود "ب" إلى مهاتفتها ثانية. عندما ردت، مع ذلك، أراد "ب" أن يحتفظ بصمته. على الجانب الآخر صوت "س" قائلة: حسن، من أنت؟. صمت. ثم قالت: تكلم أو أخرس. الوقت . الوقت الذي يفصل "ب" عن "س"، و"ب" لم يستطع أن يفهم ــ مر عبر الخط التليفوني، انضغط وتمدد وترك رؤية جانب من طبيعتها. "ب"، دون أن ينتبه، أخذ بالبكاء. يعرف أنها تعرف أنه هو من يطلبها. بعدها وفي صمت أنهى المكالمة.

حتى هنا فالقصة شائعة، للأسف، لكنها شائعة. يعرف "ب" أنه لا يجب أن يهاتف "س" مرة أخرى. في أحد الأيام طرق الباب وظهر اثنان "أ" و"ي". هما من الشرطة وأرادا استجوابه. إستعلم "ب" عن السبب. تهاون "أ" في إعطائه الرد؛ "ي" بعد روغان أخرق قاله له. منذ ثلاثة أيام، في الجانب الآخر من إسبانيا، قتل أحدهم "س". في البداية تهاوى "ب"، بعد ذلك فهم أنه أحد المشتبه فيهم وغريزة البقاء جعلته يأخذ حذره. يسأل الشرطيان عن يومين بالتحديد. لا يتذكر "ب" ماذا فعل ولا من قابل في هذين اليومين. يعرف، وكيف له ألا يعرف، أنه لم يتحرك من برشلونة، وأنه بالفعل لم يغادر الحي ولا البيت، لكنه ليس لديه الدليل. وأخذه الشرطيان. قضى "ب" الليلة في قسم الشرطة. في إحدى لحظات التحقيق ظن أنهم حملوه إلى مدينة "س" والاحتمال، بشكل غريب، يبدو أنه فتنه، لكن في النهاية لم يحدث هذا. أخذوا بصمات أصابعه وطلبوا منه إذناً لتحليل دمه. وافق "ب". تركوه يذهب إلى بيته في اليوم التالي. بشكل رسمي ليس مقبوضاً عليه، فقط أخذوه كي يتعاون معهم في كشف هذه الجريمة. عندما وصل إلى البيت تمدد على السرير وراح في النوم في الحال. حلم بصحراء، بوجه "س"، قبل أن يفيق بقليل فهم أن الاثنين هما الشيء نفسه. لم يكلفه الأمر كثيراً كي يستنتج أنه ضائع وسط الصحراء.

في الليل وضع بعض الملابس في حقيبة واتجه إلى محطة القطار حيث إستقل قطاراً متجهاً إلى مدينة "س". طوال الرحلة، التي استغرقت الليل بطوله، من طرف إلى طرف آخر في إسبانيا، لم يستطع النوم وأخذ يفكر في كل ما كان بإمكانه أن يفعله ولم يفعله، في كل ما كان من الممكن أن يعطيه لـ"س" ولم يعطه. أيضا فكر: لو كنت أنا الميتة "س" لما كنت قمت بهذه الرحلة بالعكس. وفكر: لهذا، فأنا حي. طوال الرحلة، مؤرقاً، تأمل "س" للمرة الأولى في حجمها الحقيقي وعاد ليشعر بحب تجاهها واحتقار لنفسه، باشمئزاز تقريباً، للمرة الأخيرة.

عند وصوله مبكراً جداً، ذهب مباشرة إلى منزل أخيها. وهذا بقي مندهشاً ومضطرباً، ومع ذلك، دعاه للدخول وعرض عليه أن يشرب قهوة. أخو "س" كان قد غسل وجهه لتوه ولم يكمل إرتداء ملابسه بعد. لم يستحم، تحقق "ب"، فقط غسل وجهه ومرر بعض الماء على شعره. قبل "ب" القهوة، ثم قال له إنه قد عرف لتوه بمقتل "س" وأن الشرطة قد حققت معه ويود أن يحكي له ما حدث. كان شيئاً محزناً، قال أخو "س" بينما كان يعد القهوة في المطبخ، ولكن لا أرى أن ثمة علاقة بينك وبين هذا كله. تظن الشرطة أنني يمكن أن أكون القاتل، قال "ب". ضحك أخو "س". كان حظك سيئاً دائماً، قال. من الغريب أن يقول لي ذلك، فكر "ب"، عندما أكون أنا بالتحديد من يعيش. لكن كذلك شكر له أنه لم يضع براءته موضع شك. بعد ذلك ذهب أخو "س" للعمل وبقي "ب" في بيته. بعد وقت قليل، ميتاً من التعب، سقط في نوم عميق. و"س"، كما لا يمكن أن تكون أقل، ظهرت له في الحلم.

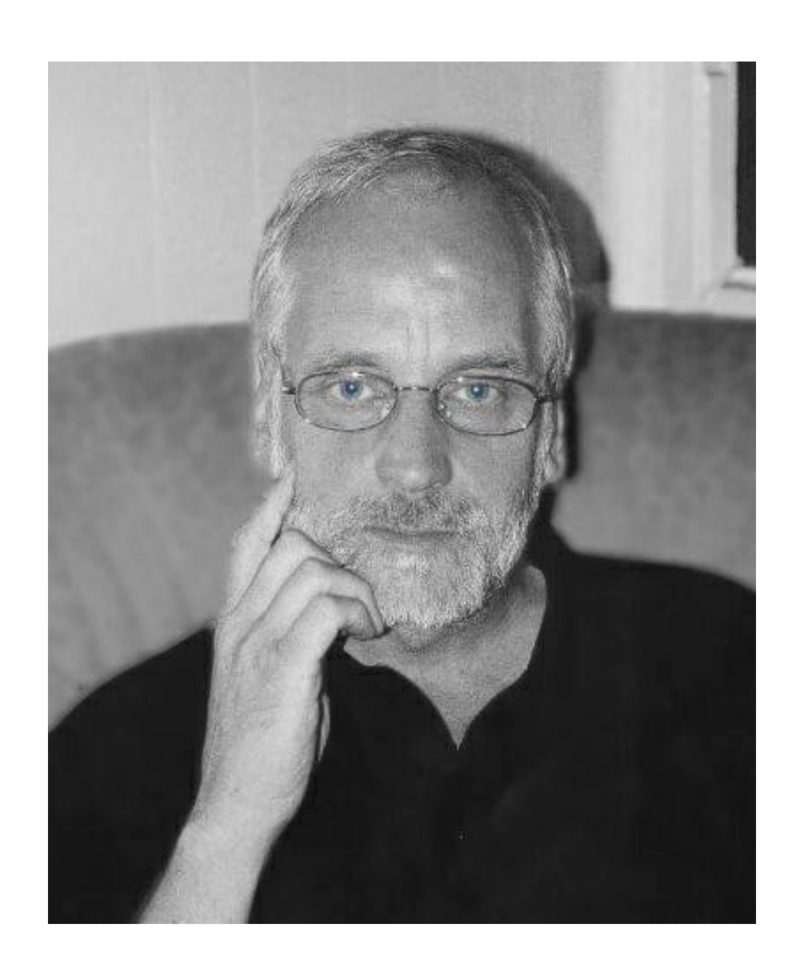
عندما إستيقظ اعتقد أنه يعرف من القاتل. لقد رأى وجهه. في تلك الليلة خرج مع أخي "س"، ذهبا إلى عدة بارات وتحادثا في موضوعات تافهة، ورغم محاولتهما أن يثملا إلا أنهما لم يتحصلا عليه. عندما عادا إلى البيت وهما يتمشيان في شوارع خالية، قال "ب" إنه هاتف مرة "س" ولم يتكلم. يا للعار، قال أخو "س". فقط فعلتها مرة واحدة، قال "ب"، لكن عندها فهمت أن "س" معتادة على تلقي هذا النوع من المكالمات. وكانت تعتقد أنه أنا

من يهاتفها. هل تفهم؟ قال "ب". هل القاتل هو الشخص صاحب المكالمات المجهولة؟ سأل أخو "س". بالضبط، قال "ب". و"س" كانت تعتقد أنه أنا. قطب أخو "س" ما بين حاجبيه؛ أنا أعتقد، قال، إن القاتل هو واحد من عشاقها السابقين، فلقد كان لدى أختي الكثير من خاطبي الود. فضل "ب" ألا يجيب (أخو "س" كما يبدو عليه لم يفهم شيئاً) وبقي الاثنان صامتين حتى وصلا إلى البيت.

في المصعد شعر "ب" برغبة في التقيؤ. قال له: سوف أتقيأ. احتمل قليلاً، قال أخو "س". بعد ذلك مشى بسرعة في الممر، وفتح الباب ودخل مندفعاً يبحث عن الحمام. لكن عندما وصل هناك كانت الرغبة في التقيؤ قد ذهبت. كان متعرقاً وتؤلمه معدته ولا يستطيع التقيؤ. بدا له المرحاض بغطائه المكشوف كفم تضحك كل لثته عليه، أو على أحد ما، على أي حال. بعد أن غسل وجهه نظر إلى المرآة: كان وجهه أبيض كورقة.

بالكاد تمكن من النوم فيما تبقى من الليل بعدما قضى الليلة في محاولة القراءة والاستماع إلى شخير أخي "س". ودعه في اليوم التالي وعاد إلى برشلونة. ولن يعود لزيارة هذه المدينة أبداً، فكر، لأن "س" لم تعد موجودة هنا.

بعد أسبوع هاتفه أخو "س" ليخبره أن الشرطة قبضت على القاتل. ذلك الشخص الذي كان يضايق "س"، قال أخوها، بمكالماته المجهولة. لم يجب "ب". عاشق قديم، قال أخو "س". يفرحني أن أعرف ذلك، قال "ب"، شكراً على المكالمة. بعد ذلك أغلق أخو "س" التليفون وبقي "ب" وحيداً.



- إسم القصة : الأشياءُ التي تركتِ وراءَكِ

- تأليف : جون ريفنسكروفت

- ترجمة : فاطمة ناعوت

- نبذة عن الكاتب :

قاص وروائي إنجليزي ولد في العام ١٩٥٤، يعمل محرراً لمجلة كادينزا البريطانية، وهي مجلة فكرية أدبية تتبنى الرفيع من الأدب الأنكليزي، من قص وشعر ورواية ونقد.

الأشياءُ التي تركتِ وراءَكِ

لم يكن بوسعي النظرُ إلى سلّة الغسيل طوال الأسبوع الماضي. مازالت ملأى بأشيائكِ. أنا خائفٌ منها، خائفٌ مما قد أجده داخلها. ملابسكِ الداخلية، مشدّات الصدر، بنطلون الركض. جواربك. أنا واثق تقريبًا أن الجورب الذي أهديتك في عيد ميلادك الأخير كان هناك. الجورب ذو التطريز عند الكاحل برمز الين الأنثويّ. لو رأيتُ الجورب ثانية، لا أعرف ماذا سيفعل بي. لذا، كلما أردتُ إستخدام التواليت، أدرتُ وجهي للجدار، ورحتُ أحدّق في تشكيلات البلاطات. أتظاهر أنني في عالم آخر ليس به سلال غسيل.

لكنها هناك، أعلمُ أن سلالَ الغسيل موجودة دائما. في البيت الذي تركتِني فيه، سلالُ الغسيل موجودة في كل مكان. كلما إستعملتُ التواليت، أعلم أنني على بُعد خطوة من أشيائنا، أشيائك الخبيئة تهتفُ بي. الأشياء التي خلّفتِها وراءكِ. لذلك، سوف أتعامل معها اليوم بحسم. اليوم سأُفرّغُ السلّة. وها هي الطريقة التي سيتم بها الأمر:

سأجد قطعتين من ملابسك، بلون أصفر فاتح وشرائط حول الخصر. بها شعرتان مجعدتان من شعرك. سأضعها في راحة يدي لبرهة، ثم آتي بقصاصة ورق. أفردُ الشعرتين على الورقة وأحاول أن أقيسهما. ذلك أفضل ما يمكن فعله، أوقن أن فعلَ ذلك سيجعلني في حال أفضل. مثل ذاك اليوم الذي أعاد فيه البوليس أغراضك الشخصية. قلتُ: شكرًا لكم، كم أنتم طيبون، وبعدما مضى رجال البوليس، تناولتُ ميزانَ المطبخ وشريط القياس ورحتُ أزن أغراضك وأقيسها. هل تذكرين مفاتيحك؟ وزنهم ٧٨ جراما، كان الأكبر (مفتاح سيارتك) بطول ٧٣ مليمترا.

شعرتاك وغدتان عنيدتان قليلا. تتصرفان على نحوٍ سيء. كلما شددتهما تلتفان حول إصبعي من جديد. لا جدوى، لن ينصاعا ما أريد. لكن هل تبدوان مألوفتين؟ سوف أنجح

في النهاية. إحدى الشعرتيْن بطول ٢٤ مليمترا، والأخرى ٥.٢٧ مليمترا. سأقيس بعضًا من شعيراتي لأقارن. ستبدو أطول بكثير، وأتساءل ما إذا كان هذا بسبب اختلاف الصفات بين الذكر والأنثى؟ أم أن الشعيرتيْن اللتيْن وجدتهما تصادَف أن كانتا قصيرتين؟

سألصق شعرتيك على الورقة، واحدةً جوار الأخرى، أغطيهما بشرائح السيلوتيب، وأدوّن تفاصيلهما. ثم أضع الورقة في مظروف أكتب عليه بخطٍ أنيق "شعيرات كاثي(٢)" ، ثم أضعه في صندوق، في محاذاة بقية الأشياء التي نجحتُ في إنقاذها من الغرق.

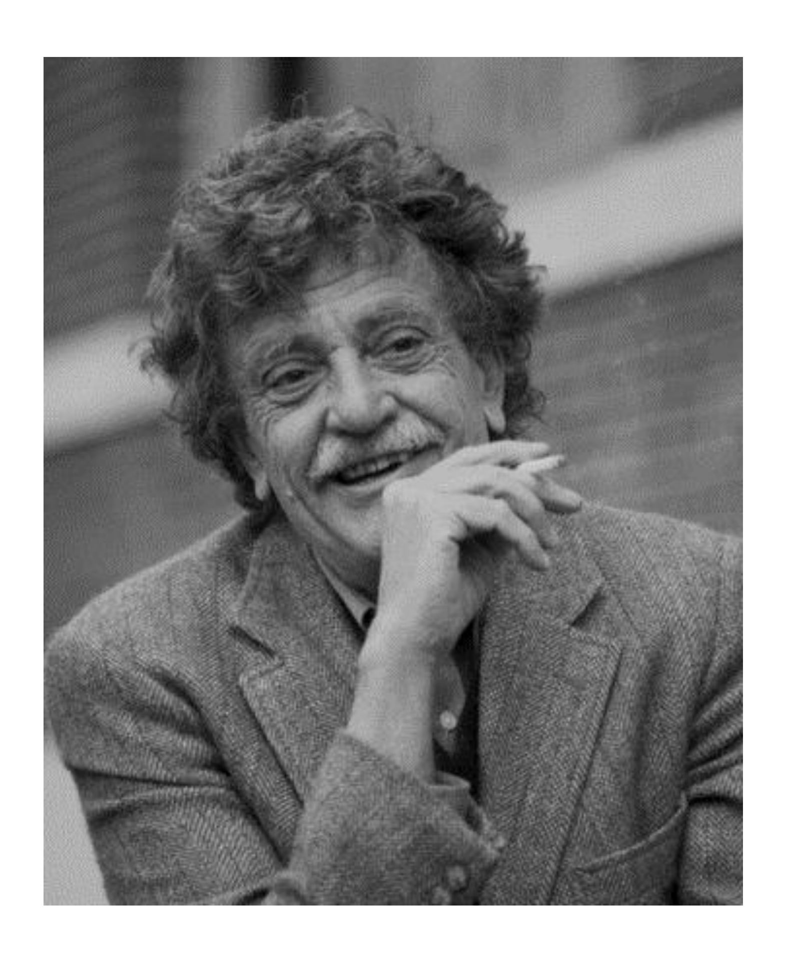
أخيرًا، في نهاية ساعة الليل الأخيرة، سوف يغدو المنزل كبيرًا جدًا، ولن يكون بوسعي النوم، لا شيءَ بالتلفزيون سوى بعض برامج البورنو الخفيفة وعروض المسابقات، لذلك سوف أُخرج الصندوقَ من مخبئه، بهدوء، أستنشقُ، أمتص أريجَكِ الخاص بشفتيّ وأنفي ولساني وأصابعي. الأبواب الخارجية، هكذا أفكر بها. الأشياء التي تركتِ وراءكِ هي البوابات الخارجية، مداخل الذكريات، ممرات الوميض والتغيّرات. أتجاوز هذه، وتلك، لأجد نفسي في بقعة مختلفة منك. بقعة مختلفة منّا. خاتمُ الزفاف. حين ألتقطه، لا أتذكّر مكتب "باكستون" لتوثيق الزواج، ولا كعكة الزفاف ذات الخمسة عشر إسترلينيًا، كانت شديدة الصلابة حتى إننا لم نستطع تقطيعها، ولا أتذكر حقيقةَ أنك لم تستطيعي قول كلمة "عائقٌ شرعيّ". تلك الأشياء تأتي لاحقًا. الذي أتذكّره أولا هو اللحظة التي قذفتِ فيها بالخاتم، الخاتم الذي اشتريته من أجلك، ومرّرتُه حول إصبعك. طوحتِ به في وجهي. وأتذكّر كيف ضاع منّا وانتهى به الحال في وعاء الكلب- وبعدها بلحظات، داخل الكلب ذاته. وأتذكّر الراحة على وجهك حين خرج أخيرًا من الناحية الأخرى. أتذكّر كيف جعلتِ الماء الصافي ينسابُ فوقه في حوض المطبخ لتنظفيه من غائط الكلب، تضحكين قائلة: "يجب أن يصبحَ هذا الأمرُ رمزًا."

وكنتِ محقّةً، فقد كان. لكنني لا أذكر أي رمزٍ تقصدين يا كاثي. لا أذكرُ ماذا يعني ذلك. ربما يعني لا شيء، ربما كما قلتِ مرةً، الأمرُ كله نكتةٌ كونيّة.

رغم ذلك، سوف أستمرُ في تجميع الأشياء. الأسبوع الماضي وجدت قلامةً من ظفر إصبع قدم كانت مختفية تحت حوض الحمّام. بها أثر من طلاء أظافر أحمر، لهذا عرفت أنها لك. وكذلك – أظن في اليوم ذاته– صادفتُ قائمةَ مشترياتٍ مجعدةً في جيبِ معطفك، وكذا إحدى شخبطاتك: أرنبُ رسومٍ متحرّكة مرسوم بعشوائية على ورقة صفراء- تضعينها داخل الكتاب كي تحددي أين وقفتِ. "هاري بوتر" و حجر الفلاسفة. الكتاب الأخير الذي كنتِ تقرئينه، لكن الأرنبَ أخبرني أنكِ لم تنتهي منه. وصلتِ إلى صفحة ٢٩ – تمامًا مثل عمرك. هل يعني ذلك شيئا؟

لا أظن يا كاثي. لكنني سوف أحتفظ بالكتاب والعلامة وقلامة الظفر وبالشعيرات وبمفتاح سيارتك وخاتم الزفاف وكل القطع الحزينة الآسفة التي تركتِها خلفكِ. سوف أحفظها جميعا في صندوقي. وسوف أعملُ قدر إمكاني على الاحتفاظ بالشيء الأشد حزنًا والأشد أسفًا منها جميعا.

سوف أحتفظُ بنفسي.



• إسم القصة : دعينا نتمشى قليلاً .. إلى الأبد

• تأليف : كورت فونيجت

• ترجمة : عمرو محمود السيد

• نبذة عن الكاتب :

كاتب أمريكي مشهور برواياته وقصصه القصيرة. ولد في عام ١٩٢٢ في مدينة إنديانابوليس في ولاية إنديانا في الولايات المتحدة وسكن هناك كل طفولته حتى عام ١٩٤١ عندما بدأ دراسته في جامعة كورنيل في ولاية نيويورك حيث درس علم الكيمياء وكتب في جريدة الطلاب حتى عام ١٩٤٣ عندما التحق بالجيش الأمريكي وقاتل في الحرب العالمية الثانية.
توفى عن عمر يناهز ٨٤ في أبريل ٢٠٠٧.

دعينا نتمشى قليلاً .. إلى الأبد

كبرا كجارين على حدود أحد المدن وبالقرب من الحقول والغابات والبساتين، وتحت عيون أجراس جميلة إعتلت برجاً لمدرسة للمكفوفين. هم الآن في العشرين من عمرهما ولم يريا بعضهما الآخر منذ عام تقريباً. كان دفء مريح لطيف يسود علاقتهما، لكن لم يكن بينهما كلام المحبين.

كان إسمه نيوت.. وكان إسمها كاثرين. مع بداية الظهيرة، طرق نيوت على الباب الأمامي لبيت كاثرين. جاءت إلى الباب وهي تحمل مجلة براقة كثيرة الورق كانت تقرأ فيها. كانت المجلة موجهة بالكامل للعرائس. قالت وهي مندهشة لرؤيته:

- "نيوت!"

قال:

- "هل يمكن أن نتمشى قليلاً ؟

كان نيوت شخصاً خجولاً حتى مع كاثرين. كان يخفي حيرته بأن يتحدث دون أن يمرر الكلام على مشاعره وكأن ما يهمه بالفعل لا علاقة له بما يتحدث به.. يتحدث كما لو كان وسيطاً سرياً، وسيط سري يتوقف كثيراً بين مآرب جميلة وقصية وخبيثة بينما يبلّغ رسالته. كانت هذه طريقة نيوت في الحديث على الدوام، حتى في الأمور التي كانت تهمه بشدة.

تساءلت كاثرين:

- نتمشى؟!

أجاب نيوت:

- نحرك أرجلنا.. بين الأشجار، فوق الجسور.. .

- لم يكن لدي أدنى فكرة أنك هنا في المدينة.

- لقد أتيت للتو.

- يبدو لي أنك لا تزال في الجيش.

- بقي لي سبع أشهر أخرى في خدمتي.

كان نيوت عريفاً في سلاح المشاة.. بدا زيه مجعداً، وحذاؤه أغبراً. كان من الواضح أنه يحتاج لحلاقة ذقنه.. مد يده لإلتقاط المجلة. .

- دعينا نرى هذه المجلة الجميلة.

أعطتها له:

- إنني سأتزوج يا نيوت.

- أنا أعرف.. دعينا نتمشى قليلاً.

- أنا مشغولة بشدة يا نيوت. الزفاف بعد أسبوع واحد.

- إذا ذهبنا للتمشية فإن هذا سيجعلك مشرقة.. عروس مشرقة.

قلّب أوراق المجلة:

- عروس مشرقة مثل هذه، وهذه، وهذه. (قالها بينما يشير إلى العرائس).

تورد خدي كاثرين وهي تفكر في العرائس المشرقات.

- سيكون هذا هدية لهنري ستيوارت تشيسنز إذا ما أخذتك للتمشية. سأعطيه عروس متوردة الخدين.

قالت:

- أنت تعرف اسمه؟

قال:

- راسلتني أمي. هل هو من بيتسبرج؟

- نعم. حين ستراه ستحبه.

- ربما.

- هل.. هل ستستطيع أن تأتي للزفاف يا نيوت؟

- أشك في هذا.

- إجازتك ليست طويلة بما يكفي؟ .

- إجازة؟ أنا لست في إجازة.

كان نيوت يتفحص إعلاناً من صفحتين لمشغولات فضية..

قالت:

- ماذا؟

- أنا الآن ما يطلقون عليه متهرب من أداء الواجب.

- لا تقل ذلك يا نيوت!

- هذه هي الحقيقة بكل تأكيد.. (قالها بينما كان ينظر في المجلة..)

- لم يا نيوت؟

- كان علي أن أختار نقش الفضة المناسب لك.

بدأ يقرأ أسماء النقوش الفضية من المجلة.

- أمبارل؟ هيثر؟ ليجيند؟ رامبلر روز؟ .

رفع بصره إليها وابتسم:

- أخطط لأن أهديك أنت وزوجك ملعقة.

- نيوت.. نيوت، أخبرني..

- أريد أن أتمشى معك.

عصرت يديها في ألم..

- نيوت.. أنت تكذب علي بشأن هروبك من الجيش.

قلّد نيوت صوت سارينة الشرطة بصوت خفيض، ورفع حاجبيه.

قالت:

- أين.. من أين هربت؟

- من معسكر فورت براج.

- نورث كارولينا؟

- هذا صحيح. بالقرب من فايتفيل.. حيث تعلمت سكارليت أوهارا.

- كيف جئت إلى هنا؟

رفع إبهامه، وأشار به كما لو كان يشير إلى سيارة كي تقف على الطريق السريع:

- سافرتُ هكذا ليومين.

- هل تعرف أمك؟

- لم آت لرؤية أمي.

- من جئت لتراه إذاً؟

- أنتِ.

- لماذا أنا؟

- لأنني أحبك. هل يمكننا أن نتمشى الآن؟ نحرك أرجلنا بين الأشجار وفوق الجسور.."

بدءا في المشي في غابة أرضها بنية بلون الأوراق المتساقطة. كانت كاثرين غاضبة ومنزعجة وكانت على وشك البكاء. قالت:

- نيوت، هذا جنون مطلق.

- كيف هذا؟

- هذا توقيت جنوني لتخبرني فيه بأنك تحبني. لم تتكلم بهذه الطريقة من قبل.

توقفت عن المشي.

- دعينا نستمر في التمشية.

- لا، لن نتقدم خطوة أكثر بعد هذا. لم يكن يتوجب علي أن آت معك على الإطلاق"

- لكنك فعلتِ.

- كي أخرجك من المنزل. إذا ما خرج أحدهم وسمعك وأنت تتكلم معي بهذه الطريقة قبل أسبوع من زفافي.."

- ماذا سيظن؟

- سيظن أنك مجنون.

- لماذا؟

أخذت كاثرين نفساً عميقاً، ثم قالت:

- دعني أخبرك أنني ممتنة جداً لهذا الفعل المجنون الذي تجشمته. لا أستطيع أن أصدق أنك هربت بالفعل، لكن ربما تكون كذلك. لا أستطيع أن أصدق أنك تحبني بالفعل، لكن ربما أنت تحبني.. لكن.." .

- أنا أحبك.

- حسناً أنا ممتنة لذلك، وأنا مغرمة بك كصديق يا نيوت، مغرمة جداً، لكن التوقيت غير مناسب على الإطلاق

خطت مبتعدة عنه:

- إنك حتى لم تقبلني مطلقاً

أخفت وجهها وراء يديها..

- لا أعني أنك ينبغي أن تفعل هذا الآن. أنا أعني فقط أن ما تقوله لم يكن متوقعاً. ليس لدي أدنى فكرة عن الطريقة التي ينبغي أن أرد بها عليك.

- دعينا نتمشى قليلاً، نقضي وقتاً لطيفاً معاً.

شرعا في المشي مرة أخرى:

- ماذا توقعت أن يكون رد فعلي؟

- كيف لي أن أعرف ما أتوقعه وأنا لم أفعل شيئاً كهذا من قبل؟

- هل كنت تظن أنني سألقي بنفسي بين ذراعيك؟

- ربما.

- آسفة لأنني خيبت أملك.

- لم يخب أملي. لم أكن أعتمد على أن هذا سيحدث. ما يحدث الآن لطيف جداً. لنتمشى فقط. .

توقفت كاثرين مرة أخرى.

- هل تعرف ما الذي سيحدث بعد هذه التمشية؟

- لا.

- سنتصافح.. سنتصافح وننصرف كأصدقاء. هذا ما سيحدث.

أومأ نيوت.

- حسناً.. تذكريني من وقت لآخر. تذكري كم أحببتك.

إنفجرت كاثرين في البكاء رغماً عنها. أعطته ظهرها ونظرت إلى صفوف الأشجار اللامتناهية. قال:

- ما الذي يعنيه هذا؟

- غضب! (قالتها وهي تقبض على يديها.) ليس لك حق في.. .

- كان علي أن أتأكد إذا ما كنت تحبينني أم لا.

- لو كنت أحبك كنت أخبرتك من قبل..

- هل كنت ستفعلين؟

- نعم.

قالتها وهي تتحول لتواجهه، بينما كان وجهها أحمر للغاية.

- كنت ستعرف.

- كيف؟

- كنت سترى الحب. النساء لسن ماهرات في إخفائه.

نظر نيوت عن كثب إلى وجه كاثرين. أرعبها أن ما قالته كان صحيحاً، فالمرأة لا تستطيع أن تخفي حبها... في هذه اللحظة كان نيوت يرى حباً صادقاً في وجهها... وقد فعل ما كان عليه أن يفعله...

قبّلها.

عندما أفلت ذراعيه عنها، قالت:

- لم يكن علي أن أسايرك. أنت شخص سيء يا نيوت.

- أنا؟

- لم يكن عليك أن تفعل هذا.

- ألم تعجبك؟

- ما الذي تتوقعه.. عاطفة ملتهبة فياضة؟

- أقول لكِ على الدوام إنني لا أتوقع ما سيحدث.

- ما سيحدث أننا سنقول وداعاً.

عبس قليلاً ثم قال:

- حسناً.

- لست آسفة على أنني قبلتك. كان هذا حلواً. كان ينبغي علينا أن نقبل بعضنا من قبل، لقد كنا قريبين جداً من بعضنا. سأتذكرك دائماً يا نيوت.. حظ سعيد.

- حظ سعيد لك أيضاً..

ثم قال:

- ثلاثون يوماً.

- ماذا؟

- ثلاثون يوماً في السجن. هذا ما تكلفه لي هذه القبلة.

- أنا.. أنا آسفة لكنني لم أطلب منك أن تهرب.

- أنا أعرف.

- وأنت لا تستحق مكافأة بطل على هذه الفعلة الحمقاء على أي حال.

- لابد أنه من اللطيف أن يصبح المرء بطلاً.. هل هنري ستيوارت تشيسنز بطل؟

- ربما سيصبح إذا ما حانت الفرصة.

لاحظت أنهما بدءا يمشيان مرة أخرى، وبدءا ينسيان الوداع اللذان كانا مقدمان عليه.

- هل تحبينه بالفعل؟

- بالتأكيد أحبه! لم أكن لأتزوجه لو أنني لا أحبه!

- ما الذي يجذبك إليه؟

- بهذه الصراحة! هل تعرف كم أنت مزعج؟ هناك الكثير والكثير من الصفات الحسنة في هنري! نعم وهناك الكثير من الأشياء السيئة أيضاً. لكن هذا ليس شأنك. أنا أحب هنري، وليس علي أن أناقش مميزاته معك!"

- آسف.

- حقاً!

قبلها نيوت مرة أخرى. قبلها لأنها كانت تريده أن يقبلها..

أصبحا الآن في بستان كبير.

- كيف ابتعدنا كثيراً جداً هكذا يا نيوت؟

- لقد حركنا أرجلنا بين الأشجار وفوق الجسور. .

- الخطوات الوئيدة أقصتنا كثيراً.

رنت الأجراس في برج مدرسة المكفوفين المجاورة... قال نيوت:

- مدرسة للمكفوفين. .

قالت:

- مدرسة للمكفوفين. .

ثم هزت رأسها..

- ينبغي علي أن أعود.

- قولي وداعاً.

- يتم تقبيلي في كل مرة أودعك فيها على ما يبدو.

جلس نيوت على عشب قصير تحت شجرة تفاح.

- اجلسي.

- لا.

- لن ألمسك.

- لا أصدقك.

جلست تحت شجرة أخرى وأغلقت عينها.

- أتحلمين بهنري ستيوارت تشيسنز؟

- ماذا؟

- تحلمين بزوجك المستقبلي الرائع..

- حسناً سأفعل.

أغلقت عينها بشدة وقلبت صوراً لزوجها القادم..

تثاءب نيوت. كان النحل يطن بين الشجر وقد نامت كاثرين على الأغلب. عندما فتحت عينها وجدت أنه قد نام بالفعل. بدأ يغط بصوت خفيض. تركته كاثرين ينام لساعة، وبينما كان نائماً شعرت بأنه تعشقه من كل قلبها.

إتجهت ظلال أشجار التفاح نحو الشرق. دق الجرس ثانية وغنى طائر في السماء. من مكان بعيد، جاء صوت محرك سيارة يحاول القيام ثم يفشل، يحاول ويفشل.

مشت كاثرين من تحت شجرتها وجثت على ركبتها إلى جانب نيوت. قالت:

- نيوت؟!

- امم

- تأخر الوقت.

- أهلا يا كاثرين.

- أهلا يا نيوت.

- أنا أحبك.

- أنا أعرف.

- فات الوقت.

- فات الوقت.

وقف وتمطى بينما قال:

- كانت تمشية لطيفة للغاية.

- أعتقد هذا أيضاً.

- هل يفترق الرفاق هنا؟

- أين ستذهب؟

- سأسافر متطفلاً وسأسلم نفسي.

- حظ سعيد.

- حظ سعيد لك أنتِ أيضاً.. هل تتزوجينني يا كاثرين؟

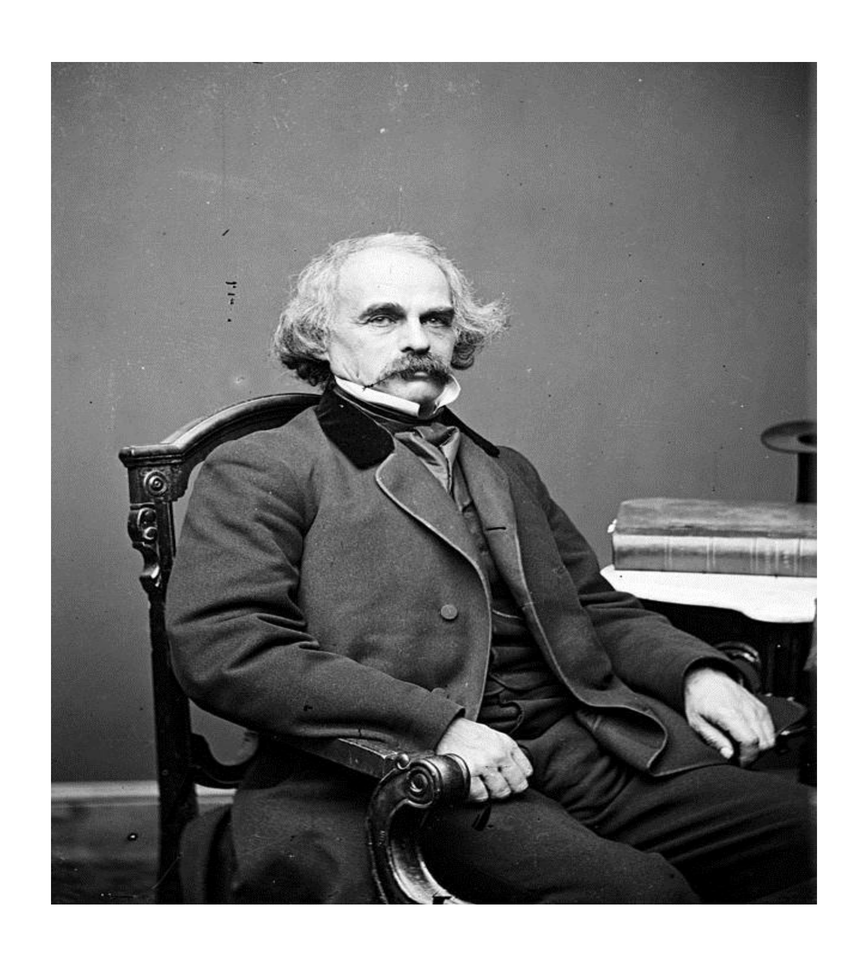
- لا

إبتسم وحملق في يدها للحظة ثم مشى بعيداً وبسرعة. شاهدته كاثرين وهو يتضاءل على المدى البعيد للظلال والشجر. كانت تعلم أنه إن توقف ونظر نحوها، إذا ما نادى عليها، فلن يكون لديها خيار. .

وقد توقف نيوت بالفعل، ونظر نحوها. ثم نادى عليها..

- كاثرين..

جرت نحوه ولفت ذراعيها حوله ولم تستطع أن تتحدث.



- إسم القصة : الرأس ذو الريشة

- القاص : ناثانيل هوثورن
- ترجمة : د. رشا التهامي الجديدي

- نبذة عن الكاتب :

روائي أمريكي وكاتب قصص قصيرة، وُلد في ٤ يوليو ١٨٠٤ وتُوفي في ١٩ مايو ١٨٦٤. ينتمي هوثورن إلى سلالة من المتطهرين الأمريكيين، ويتحدث في رواياته وقصصه القصيرة عن الحركة التطهرية في أمريكا. أشهر رواياته هي الحرف القرمزي.

الرأس ذو الريشة

أمرت العجوز ريغباي شيطانها :

-ديكون. أشعل غليوني !

إشتعل فيه التبغ على الفور، فأطلقت من فمها موجة من الدخان.. قالت وهي تهز رأسها :

شكراً يا ديكون. إبق معي حتى لا أناديك كلما إحتجت إليك. أريد أن أصنع (فزاعة) .!

كانت قد نهضت باكراً كي تصنع فزاعة تنصبها في وسط حقلها الذي زرعته بالحبوب. لأن الغربان والطيور قد إكتشفت بوادر الحب الهندي التي بدأت بالظهور فوق سطح الأرض. فقررت أن تصنع فزاعة تشبه كثيراً رجلاً حقيقياً. فهي من أمهر الساحرات في نيو إنجلاند، ولن تبذل سوى جهد بسيط لصنع فزاعة تخيف أي مخلوق حتى ولو كان وزيراً. ولأنها كانت قد إستيقظت بمزاج رائق على غير عادتها، وجلست تتمتع بتدخين غليونها، فقد قررت أن تصنع شيئاً جميلاً وحدثت نفسها :

-لا أحب أن أضع على عتبة بيتي شيئاً مرعباً، كما أنه لا داعي لأن أخيف الأطفال مع أنني ساحرة..قررت أن تصنع الفزاعة على هيئة رجل نبيل جميل، على قدر ما تمكنها المواد التي بين يديها من تحقيق ذلك. أهم تلك المستلزمات عصا المكنسة، لتكون بمنزلة العمود الفقري للفزاعة. كما تكفي بضعة عصي ومقابض لصنع اليدين والقدمين، مع كيس محشو بالقش ليكون جسم الفزاعة. وصنعت الرأس من يقطين جاف بعد أن حفرت فيها حفرتين على شكل العينين، وحفرة ثالثة كأنها فم. وثبتت كتلة زرقاء في وسط اليقطينة مكان الأنف. نظرت الساحرة إلى الوجه الذي صنعته. وتمتمت :

-لقد رأيت وجوها أسوأ من هذا الوجه على أكتاف أناس. وكثير من النبلاء رؤوسهم مثل اليقطين أيضاً!. يجب أن تكون ملابس فزاعتي من صنع خياط ماهر .

وبعد أن كستها ألصقت على اليقطينة شعراً مستعاراً، ووضعت فوقها قبعة متسخة لها

ريشة طويلة..ثم راحت تحشو الغليون وهي ترنو بنظرة الأمومة نحو اللعبة وتحدث نفسها :

-لها وجه إنساني رائع.. من السخف أن يقف في الحقل لمجرد أن يخيف الطيور والغربان.. إنه جدير بعمل أفضل.. لم لا أعطيه فرصة في هذا العالم الذي يعج بأمثاله من رجال القش والأصدقاء الفارغين؟ !

أبعدت الغليون عن فمها. ووضعته في فم الفزاعة، وخاطبتها :

-دخن يا عزيزي الرائع. إن حياتك تتوقف على أن تدخن. وسرعان ما بدأ الدخان يخرج من فم الفزاعة، ثم إشتد وتكاثف، وريغباي تردد:

-دخن يا عزيزي الجميل. إنه نفس الحياة بالنسبة لك .

لقد فعل السحر فعله، فوجه اللعبة الأصفر الجاف الذي لم يكن وجهاً على الإطلاق، بدأت تظهر عليه ملامح إنسانية .

ثم أشارت الساحرة إلى الفزاعة بأن تتقدم نحوها. أطاعت الفزاعة الساحرة. ومدت يدها كأنها تريد أن تمسك بالساحرة، ثم خطت خطوة متلكئة إلى الأمام، فكادت أن تسقط. فصرخت الساحرة بغضب :

-دخن أيها الشيء المصنوع من القش والفراغ والحماقة! دخن، لتستنشق حياتك مع الدخان. وإلا نزعت الغليون من فمك وأحرقتك بالشعلة الحمراء .

بعد هذا التهديد، لم يعد أمام الفزاعة إلا أن تتنفس من أجل الحياة العزيزة . فأثمرت جهودها كثيرًا، إذ كانت مع كل نفس من الغليون، تتفتح المزيد من السمات الإنسانية على وجهها، حتى ملابسها صارت تبدو جديدة. أخيراً رفعت العجوز سبابتها وهزتها أمام وجه الفزاعة وخاطبتها بحدة :

-لقد صار لك هيئة رجل.. إني آمرك أن تتكلم. بذلت الفزاعة جهدها فاستطاعت بصعوبة أن تصدر صوتاً منخفضاً :

-أمي لا تقس علي. لقد عزمت على أن أتكلم. ولكنني لا أجد ما أقوله وأنا لا أملك عقلاً .

إبتسمت الأم ريغباي وخاطبت الفزاعة :

-إنك تستطيع أن تتكلم. ألا تقدر أن تتفوه بآلاف الكلمات وترددها آلاف المرات وأنت لا تعني بها أي معنى؟ !

أجابت الفزاعة :

-سأنفذ أمرك يا أمي

طلبت العجوز من الرجل أن يخرج ليقوم بدوره العظيم في العالم، الذي لا يوجد فيه رجل من كل مائة رجل، أفضل من فزاعتها. وطلبت منه أيضاً أن يعتبر نفسه من أفضل رجال المدينة. ثم زودته بمبلغ كبير من المال.وحتى لا تفشل هذه المغامرة، أعلمته العجوز أن عليه التعرف على رجل عظيم يعمل تاجراً ويعتبر من علية القوم، يسكن في المدينة القريبة. ومن أجل ذلك ما عليه إلا أن يهمس في أذن الرجل بكلمة.. ثم انحنت وهمست بتلك الكلمة في أذن رجلها.. وأعلمته الساحرة :

-هذا الزميل القديم،سوف يرحب بك بسبب ضعفه. وسوف يساعدك عندما تهمس له بتلك الكلمة.. لدى ذلك السيد الوجيه إبنة، ستصبح لك .!

راح الرجل يدخن غليونه بتلذذ ومن أجل الأنفاس التي تهبه الحياة. ويصغي للساحرة ويهز رأسه كلما وجد ذلك مناسباً لحديثها إليه، أو يقول كلمات تلائم الحالة مثل: حقا؟ في الواقع!.بالتأكيد .!

-إبق ملتصقاً بغليونك لأن حياتك منه. وإن سألك الناس لماذا تفعل ذلك. أعلمهم أن التدخين ضروري لصحتك، ولقد أمرك الطبيب أن تفعل ذلك. وعندما يخبو غليونك يا حبيبي. إنفرد بنفسك بإحدى الزوايا. ثم نادي: ديكون تبغ جديد للغليون. ديكون أشعل غليوني. ثم ضعه في فمك بأسرع ما يمكنك. وإلا أصبحت كومة من العصي والملابس الرثة.. الآن إرحل يا عزيزي .

أجاب بصوت عال وهو ينفث الدخان :

-لا تخشين من شيء. سأتصرف مثل رجل شريف نبيل.!

أجابته العجوز وهي تضحك بكبرياء:

-إنك تتقن دورك جيداً. يالك من فتى ماهر. ستواجه بعض الصعوبات وأنت تقف على ساقيك. إذن خذ عكازي. إنها لك .

سوف تقودك الى باب الوجيه غوكين. إذهب يا عزيزي الجميل.وإذا ما سألك أحد عن إسمك، قل له أدعى بذي الريشة، لأنه ثمة ريشة فوق قبعتك.

عادة يصطخب الشارع الرئيسي في المدينة المجاورة كل صباح. ولأول مرة شاهد الناس في هذا الشارع رجلاً غريباً، بدا مثل النبلاء وهو يمشي على الرصيف بمعطفه الفاخر وعلى صدره تلمع نجمة، وبيده عكاز ذات مقبض ذهبي، ويمسك بيده اليسرى غليوناً مزيناً بالنقوش، وكلما مشى بضع خطوات يضعه في فمه .

قال أحد المارة: لا شك أنه رجل نبيل عظيم. ألا ترون نجمة على صدره !؟

أجابه أحدهم: لا بد أن يكون رجلاً نبيلاً !

علق رجل ثالث: لم أر في حياتي من يتمتع بعظمة مظهره

قال رجل رابع: أعتقد أنه عاش في البلاط الفرنسي. أنظروا إليه كيف يمشي! إنه يخطو بثقة .

بين هذه الأصوات المعجبة المندهشة، إرتفع صوتان شاذان عنها: نباح كلب إقترب من الغريب وشم عقب قدمه، ثم هرع إلى فناء سيده وهو ينبح نباحاً غريباً. أما الصوت الثاني، فكان بكاء طفل، فزع عندما شاهد الغريب، فراح يتمتم بعبارات مبهمة عن اليقطين.!

تابع ذو الريشة طريقه وهو مستغرق في التدخين، يتبعه جمهور من أهل المدينة، إلى أن

وصل إلى المنزل الرائع الذي يقطنه الوجيه السيد غوكين. دخل من البوابة وصعد السلم. قرع الباب، ثم إلتفت نحو الجمهور وانحنى لهم مودعاً.

عندما لمحت (بولي غوكين) الغريب المتألق واقفاً عند مدخل المنزل، أسرعت بارتداء ثياب جميلة.. عندما فتحت الباب، إضطرب التاجر. ثم قدم إلى الغريب إبنته. وقال لها :

-هذا النبيل هو اللورد ذو الريشة. حمل إلي رسالة من صديقة قديمة. أرجوك أن تقدمي له ما يستحق من الضيافة.

لقد فعلت تميمة الساحرة فعلها فأثارت مخاوف التاجر. كما أنه إنتبه إلى الرسوم التي على الغليون.. لقد سبق أن قطع للساحرة وعداً ما في مرحلة من حياته القديمة. وما عليه الآن، إلا أن يقدم إبنته للرجل وفاءً للوعد.

بعد أن خرج التاجر من الغرفة. ظلت بولي الجميلة مع ضيفها الشاب في الغرفة.ومع مرور الوقت كانت تزداد إنبهاراً بالرجل،فوقعت في حبه بعد مضي ربع ساعة على زيارته لهم. فقدكانت النجمة تتألق على صدره، والشياطين ترقص مبتهجة حول غليونه.. ثم راح ذو الريشة يفتر رويداً رويداً، وبدأت أشعة النجمة تخبو، وصارت ملابسه أقل جمالاً. نظرت الفتاة إلى الرجل، فصرخت وسقطت على الأرض مغمى عليها!؟

نظر ذو الريشة إلى المرآة، فرأى حقيقته قبل أن يفعل السحر فعله. فأرخى ذراعيه على جانبيه تعبيراً عن يأسه، وغادر على الفور منزل الوجيه، وإتجه نحو بيت الساحرة.

كانت الأم ريغباي جالسة أمام موقد مطبخها. حين سمعت وقع خطوات عند باب بيتها تشبه طقطقة العصي أو العظام الجافة. فتمتمت تحدث نفسها :

-عجيب، أي هيكل خرج من قبره؟

دفع ذو الريشة رأسه الطويل من الباب.

-إنه ذو الريشة. غليونه ما زال مشتعلاً. والنجمة تشع فوق صدره. ولم تفقد ملابسه مظهرها الفخم. إذن، لا بد أنه قد حدث خطأ ما!. ثم سألت الساحرة رجلها :

-ماذا حدث؟ هل طردك المجنون العجوز من بيته؟ سأنزل به أشد العقاب، وأجبره على أن يقدم لك ابنته جاثية على ركبتها. أما إذا كانت هي التي رفضتك. فسوف أدمر جمالها خلال أسبوع واحد .

-أماه أتركها لشأنها ، كنت سأحظى بها، إضافة إلى قبلة من شفتها الشهيتين. ولكنني يا أمي قد رأيت نفسي في المرآة. كم كنت فارغاً وتافهاً. وعرفت أنني لن أعيش بعد اليوم .

نزع من فمه الغليون وأطاح به إلى الجدار. وسرعان ما سقط فوق الأرض كومة من العصي والقش و الثياب الرثة. فراحت الأم ريغباي تندبه :

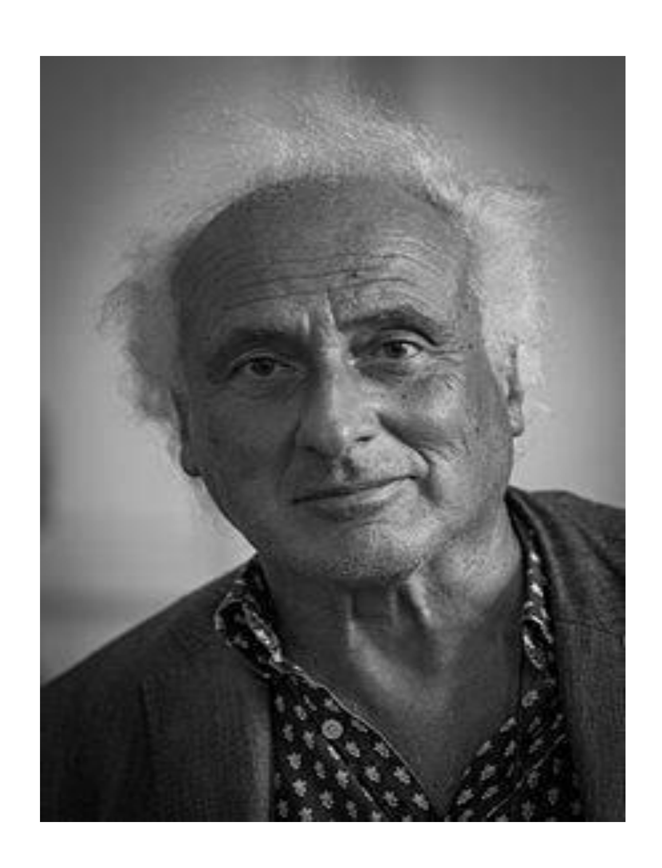
-يا صديقي المسكين. يا عزيزي البائس. يا ذا الريشة. ثمة ملايين من البلهاء والحمقى والفارغين في هذا العالم، ليسوا أفضل منك. ومع ذلك يعيشون محترمين!. ولم يروا أنفسهم إطلاقاً، ولا يعرفون حقيقتهم!.. ما الذي جعل هذا المسكين يرى نفسه، ليموت بسبب ذلك ؟!

حشت غليونها واحتارت في أين تضعه في فمها أم في فم ذي الريشة. وتابعت نعيها :

-يا ذا الريشة المسكين. سهل علي أن أمنحك فرصة ثانية. وأن أرسلك غداً. ولكن لن أفعل. لأن لك مشاعر رقيقة وصادقة جدا، وقلب أعظم من أن يحتمل الحياة في عالم فارغ لا قلب له. فلو أجاد إخوانك في هذا العالم أعمالهم مثلما تفعل الفزاعات، لأصبح العالم أفضل حالاً مما هو عليه الآن.. إذاً فأنا أشد حاجة منك إلى هذا الغليون .

وضعت الغليون في فمها وصاحت :

-ديكون. أشعل غليوني!.



- إسم القصة : عاشق من المريخ
- تأليف : ستيفانو بيني
- ترجمة : محمد صوف
- نبذة عن الكاتب :

هو صحفي وشاعروكاتب ، قام باخراج وكتابة سيناريو فيلم "موسيقى لعجائز الحيوانات" وله إسهامات في المسرح ومنذ عام ١٩٩٩ يتولى مهمة المستشار الفني لمهرجان "صخب متوسطي" الدولي لموسيقى الجاز

عاشق من المريخ

سأقص عليكم قصة كرابونتيك آرماديلينيك كما رواها لي بعظمة لسانه .

كنتُ ذات صباح أصطاد في نهر سومباتسو عندما سمعت خلفي ضجيجاً مثيراً . رأيت الأشجار تهتز والعصافير تفر . ثم سمعت دوياً صاخباً ، ثم لا شيء. فعبرتُ الحاجز بسرعة ووجدتني أمام مخلوق غريب . عبارة عن برميل معدني ذي أنف خلد أرويي وذراعين بمقاصل عاكسة . كان يوجه ركلات متتالية إلى طبق طائر. كان غاضباً ، يصرخ مردداً كلمات من قبيل :

- تسوكونوك داسترونا في باغاز. مينكومولو ميكا نيكوس .

وعندما رآني إنحنى محيياً وقال :

- آسف سيدي على الإزعاج . سأطلب منك أن تكون لطيفاً معي و تنصت إلى ما سأقول . أعرف أنك ستفهمني و ستساعدني ، إسمي كرابوتنيك أرماديلينيك ،جئت من كوكب بيكودا . وهو كوكب يوجد على بعد سبعمائة سنة ضوئية من كوكبكم . الحرارة المتوسطة عندنا: خمسون درجة تحت الظل . كوكبنا ذهبي وقاحل . لا نزرع فيه سوى شيئين إثنين : الترونـد والكواتس . الترونـد درن لا طعم له . دائري الشكل ، والكواتس درن مربع وله نفس الطعم . يمكن أن نقول إنهما شيء واحد إلا أن سكان بيكوديا يفصلون بينهما فقط للتنويع . نستطيع أن نقول بماذا سنتعشى الليلة . بالترونـد أم بالكواتس ؟ سعياً وراء التشويق ، ثمة ثلاثة طرق لأكل الترونـد . جلوساً . وقوفاً ومتمددين . كما أن ثمة طرقاً ثلاثة لطبخ الكواتس ، نطبخه بعصير النروند . بعصير الكواتس ومحشواً بالتروند.

ها قد عرفت أن الحياة على كوكبنا جد قاسية . ليس لدينا غير أرض محروقة وحقول الترونـد والكواتس .. وصخور سوداء وجبال من الحمم وبركان إسمه نيريرو يقذف في الهواء أحجاراً متقدة فائرة . لا توجد لدينا حيوانات ما عدا نوعاً من الدود نطلق عليه كروكوبلاس . والذي لا يؤكل بل يستعمل طعماً للأسماك . غير أنه للأسف لا توجد مياه ولا أسماك. وأيضاً نحن لا نشرب غير عصير الترونـد محلى بالكواتس .

في كوكبنا المثير للقرف . الوسيلة الوحيدة للتسلية هي المداهنة . سكان بيكوديا فتانون. أو على الأقل . هذا ما هو مكتوب في الفصل الأول من الدستور عندنا . نحن الذكور كما ترى مكونون من ساقين من الترونـد وجسد من الكواتس . أما الرأس فهو من الترونـد ويبرز منه

أنبوب (و هو غير الأنف) للتناسل .. وللأنثى عندنا قدمان صغيران من الكواتس وجسد لذيذ من التروندو ، ورأس ترونديٍ جميل .

حبيبتي إسمها لوكرنيا بيكلر غرايتزر و معناه اللوكز التي ولدت جنب البركان . والدها غرايتزر يعيش فوق البركان . ووالدتها بيكلر هي التي سقطت في البركان ... حبيبتي إمرأة شابة . عمرها لا يتجاوز ثماني عشرة بيكودية ، أي ما يقارب سلسلتين تليفزيونيتين على الأرض . أحبها وأحب أن أتجول رفقتها في الغرونكا عبر شواطئ كوكبنا . متعتي الوحيدة .

وفي ليلة ما ، كنا بمفردنا داخل سيارتي . كنا نحدق في آلاف النجوم التي تملأ هذا الكون . إلتصقت بي و بدأت تنتحب على طريقة أهل بيكوديا -أسوأ ما يحدث لك في ببيكوديا هو أن تنتحب ، شيء بشع وموحش كالبكاء عندكم ، إلا أننا نبكي فيسيل من عيوننا زيت ثمين كالنفط . فما أن تسيل الدموع النفطية حتى يصيبنا الصدأ والزكام ، فنموت . حاولت مواساتها وسعيت إلى إعادة دموعها إلى المخزن ، إلا أنها لم تتوقف عن إهدار الطاقة . إحترتُ ولم أعد أدري ما أفعل .

قلت لها :

- لوكرينيا .. أرجوك قولي شيئاً .توقفي عن النحيب . إني أتألم . ماذا بوسعي أن أفعل من أجلك ؟

أجابت :

- آه يا كرابوتنيك . أنت طيب كالتروند (هذا ليس مديحاً . فنحن نقول أيضاً أنت لحم فاسد كالتروند .لأن عناصر المقارنة نادرة عندنا) و أنا أريد شيئاً مستحيلاً . أريد ... أريد ...

كانت يائسة ، تأثرتُ و سالت من عيني قطرة نفط، قلت :

- قولي يا حبيبتي . لا تترددي .من أجلك أفعل كل شيء .

- آه يا كرابوتنيك. لو تدري أنني لم أتحصل على هدية قط في حياتي . وياللحسرة سأموت دون أن أتحصل على واحدة .

قلت لنفسي – كيف ذلك ؟! - لقد أهديتها عقداً من التروند . لكن أي قيمة لهدية من التروند في هذا الكوكب اللعين الذي لا وجود لشيء فيه عدا التروند والكواتس ، أحجار ترونديه الشكل وأخرى كواتسية الشكل ، منتشرة عبر الطرق والممرات . إن قيمة الهدية تكمن في كونها غير متوقعة . إذن فأي شيء في بيكوديا يمكن له أن يفاجئ ؟!

في تلك اللحظة رفعت بصري إلى السماء الحافلة بالنجوم وجاءتني إشراقة حمراء (عندنا ، عندما تخطر ببالنا ، فكرة رائعة ، يلمع ضوء أحمر)

إن الكون تسكنه عوالم كثيرة من نوع التروند ومن بنيات ضخمة من نوع الكواتس . قالوا في التلفيزيون (نحن أيضاً عندنا تليفزيون ، وهو إجباري). إن هذه العوالم متطابقة تماماً مع عالمنا . بجوفها توجد تروندات ــ وعلى سطحها تنتشر الكواتسات الجميلة جداً . ولا شيء غير ذلك.

كنت أعتقد أن التليفزيون لا يكذب أبداً. إلا أنني أحب أن أتأكد . فإذا حدث ووجدتُ هدية حقيقية في أي كوكب آخر.. هدية لا علاقة لها بالتروند ولا بالكواتس ، فسآخذها إلى حبيبتي. سأعثر حتماً على هذا الكوكب . حينها شدددت عزمي ، وقمت ليلتها مباشرة بصنع حواشي منمقة من التروند ، ووضعتها في حقيبة من الكواتس ، ثم إنطلقت على متن سيارتي الكوكبية عبر ممرات نجوم . أولاً ، مررت بكوكب الأفاعي رقم ٨ ؛ أي الكوكب الموجود في ملتقى الطرق مع تسالونيك . ومن ثمة عبرت إلى نظام الشمس عندكم . لا أدري تماماً كيف قصدت الأرض من دون غيرها . ربما أعجبني لونها . وربما أعجبتني طريقة دورانها في الفلك ، فوجهت مركبتي نحوكم .

أول شيء رأيته عندكم أحبطني .فضاء شاسع من الزغب الأخضر ، وآلاف الأشخاص من حوله يصرخون ، وفي الوسط كائنات ترتدي أثواباً من لونين مختلفين يتعاركون بالأرجل على كائن دائري صغير. وآخر أصغر ، ثم أصغر ... الأمر هنا أدهى وأمر مما هو عندنا . فنحن نملك فقط الكواتس والتروند. لكن من رأيتهم هنا كانوا يفتقدون للتروند ، لذلك كانوا يركضون ويدورون حوله ، يتصارعون ويتعاركون ويتجاذبون التروند. كل واحد منهم يريده لنفسه والناس يصرخون بجنون . وجهت مركبتي نحو وجهة أخرى فرأيت مدينة مكونة من الكواتس الواحد فوق الآخر .لا أثر للحياة . فكرتُ أن الأهالي لا يقتاتون بالكواتس لكن الكواتس هو الذي يقتاتُ بالأهالي . إذ رأيت الآلاف يختفون داخل كواتسات ضخمة مضاءة .

أصبتُ بالإحباط وخيبة الأمل ، وقررت العودة إلى كوكبي. إلا أنّي ، ويا للعجب ، رأيت شيئاً لا هو بالتروند ولا بالكواتس .لا هو حجر ولا هو أي شيء آخر. عجيب فعلاً لم تسبق لي رؤية مثيله . نزلتُ واقتربت منه ، فرأيت علبة معدنية تشبه كائناً سميناً من بيكوديا . محشواً بأشياء غريبة مصنوعة من مواد ، لنقل إنها البلاستيك والقصدير. ألوانها مختلفة ، خليط من الكواتس والتروند غير أن التنوع كان مدهشاً . تفوح منها رائحة غريبة. قوية .نافذة. تختلف كثيراً عن رائحة كوكب بيكوديا .. أقرب لرائحة رماد كواتس

مسلوق في الماء . نقبت قليلاً بذراعي و استخرجت من العلبة كائناً مدهشاً .أسطوانة حمراء لامعة على ظهرها كتابة غريبة ، إستطعت فك رموزها فقرأتها كوكولوكا أو كوولو كوكو . خمّنت أن الأمر يتعلق بعمل فنانين ... ثم رأيت حيواناً رائعاً. عبارة عن جسدٍ غزيرِ الوبر ، بذيل طويل من الخشب ، وأثواب ثمينة بيضاء كُتب عليها متاجر بام و ستاندا . ورأيت أشياء ممتدة وشفافة ، وأنواعاً من المرق عجيبة رائحتها تفوح . ويغوراً حلزونية ، وبطاقات ترسل ضجيجاً مليئة بحروف هيروغليفية... كنت هناك أمام الباب المفتوح على مصراعيه أنظر إلى هذا الثراء . وإذا بي أرى أول كائن أرضي .كان يبدو سعيداً ويبحث بين الأشياء العجيبة التي في العلبة . وأخذت قاموس الكواكب وركبت الجملة التالية :

- معذرة.. أنت أيها الكائن الأرضي هل أستطيع أن أشتري منك واحدة من هذه الأشياء العجيبة ؟

فتح الكائن عينيه الجميلتين .حرك ذيله و رد :

- لا تشتر. يمكنك أن تأخذ كل شيء . الآن اذهب إلى حال سبيلك . وإلا فقد يأتي الآن أشخاص رعاع ..

و إذا بالكائن الذي إعتقدته رجلاً يقفز مفزوعاً عند وصول كائنٍ زاحف بحجم عشرين بيكوديا . ونزل منه رجلان ، نظر إليّ أحدهما مستفهماً ثم قال مشيراً بسبابته :

- منذ متى تم صنع هذه الصفائح ؟

أجاب الآخر :

- تبدو فارغة ..

وأمسكاني من أنفي (الذي هو ليس في الحقيقة أنفاً ، إنما جهاز تناسل) ورمياني بعيداً.

هيا –قال الآخر – لنرم هذه الحاوية - وأخذا العلبة العجيبة ورميا بها في فم الكائن الكبير الزاحف . وقفزا داخله ثم ذهبا . فكرت . إذا تعاملا بهذه الطريقة مع هذا الكائن العجيب وأهاناه ، فلا شك أن عندهم أشياء أخرى أكثر عجباً . شجعني ما رأيت واندفعت خلف الكائن الزاحف بكل سرعة على مركبتي إلى أن أدركت المدينة و أنا كلي دهشة . أي أشكال و أي ألوان رأيت ؟ أي هدايا جامدة ومتحركة .صغيرة وكبيرة . إنها الجنة . عليّ أن أهدأ حتى أستطيع أن أحسن الاختيار. عليّ ألّا أنصاع لسحر الوفرة . فأنا لا أريد هدية كيفما كان نوعها ، أريد هدية تثير غيرة نساء الأرض أيضاً ، أستطيع الآن أن أتعرف على الرجال .. لكن عليّ أن أجد أنثى . كيف هي الأنثى إذن ؟

دخلت دون أن أثير الانتباه إلى دكان كتب عليه "مقصف – دخان " رأيت شيئاً قد يكون مرأة . ذات أنوف كثيرة ، ورجل يضغط عليها ويجذبها إلى أعلى وإلى أسفل . وهو ما نسميه عندنا بعملية التناسل . لكنني سمعت الرجل يسميها آلة قهوة . إذاً ليست هي .. والآن ها هي المرأة لقد رأيتها ، جميلة جداً . كلها أضواء . وألوان مختلفة ، تصدر صراخاً وآهات عندما يحركها الرجل ماسكاً إياها من طرفها . أليس هذا هو التناسل عندكم ؟! لكن الأضواء انطفأت فجأة فركلها الرجل . تعجبت من الرجل كيف يمارس العنف على المرأة بعد أن يقضي منها وطره . مر الرجل من أمامي و سمعته يزمجر.

- أي نوع من آلات الفليبر هذا ، إنها قذارة . لا ينهزم أبداً . و ما هذا ؟؟ موزع أوتوماتيكي جديد ؟؟ وأمسكني من أنفي (الذي ليس في الواقع أنفاً إنما جهاز تناسل)

رد الرجل الذي يشتغل على جهاز القهوة ، لست أدري، لقد جاء به صاحب المحل ، أنظر هناك في الخارج .كم هي فاتنة تلك المرأة ..

مربط الفرس ..

وجهتُ بصري إلى حيث ذهب بصر الرجلين. رأيت شيئين الأول كائن أصفر كتب عليه تاكسي ، والثاني رجل يتوفر على أكثر من كائن دائري في الأمام وخيوط جميلة ملونة في الرأس وعينين تلمعان بحياة . تبعتها دون أن أثير إنتباهها إلى أن التقت بمثيلة لها . قالت :

- أرأيت هذا الشيء الذي يتدحرج خلفي ؟ إنهم يقومون بعمليات دعائية لجهاز الغسيل الجديد .

هل أنا الشيء الذي تتحدث عنه ؟! فكرتُ في نفسي ، لكن إذ بالأنثى الثانية ترد مقاطعة . يالها من سيارة .. علي أن أدفع لأتحصل على مثلها ؟؟

السيارة التي تتحدث عنها كانت مركبة من الكواتس تصدر ضجيجاً قوياً و دخاناً كثيفاً . إنها كهدية يصعب نقلها لكنها أعجبتني ، فالسيارات تقف مصطفة وداخلها رجال ونساء يعزفون نغمة واحدة بضغطهم على مكبس ، يفعلون ذلك رغم الإعياء البادي عليهم . وأدركتُ فوراً أن السيارة آلة موسيقية .

بعد لحظة وجيزة وصلت الأنثى إلى مكان كتب عليه "موقف سيارات " ثم وجدت على زجاج سيارتها ورقة صفراء . لعلها نوتة القطعة الموسيقية التي عليها أن تعزفها . إلا أن الأنثى غضبت و مزقت الورقة وبدأت تصرخ .

- إختناق في المرور وغرامة .. كان من الأفضل أن أرمي بهذه السيارة من أعلى جبل .. يجب إحراق كل السيارات .

وغادرت المكان دون أن تعزف. إذن ليست السيارة هدية قيمة ... لذلك تبعت الأنثى الأخرى . رأيتها تقابل رجلاً. دخلا معاً إلى مطعم. حشرت نفسي داخله ولاحظت أن لا أحد يعيرني الإهتمام إذا أنا لم أتحرك . فكل ما يفعلونه هو أنهم يحاولون منحي النقود لأبتلعها . ثم سمعتُ الأنثى تقول :

- هذه أجمل هدية تهديني إياها يا عزيزي . إنها رائعة.

وقبلته .

تسللت تحت مائدتهما .حدقتُ جيدا . أتدري ماذا رأيت في يد الأنثى ؟ مجرد غمد أسود وبداخله عقد من الكواتس . أحجار شفافة تجدها عندنا في بيكوديا بالآلاف في الرماد .هل هذه فعلاً هدية جميلة .

قررتُ أخيراً أن أقتنع برأي التليفزيون . أعتقد أن الأمر هنا يشبه بيكوديا . إن التلفاز دائماً ما يقول الحقيقة. فحلّلت ما راج في نشرات الأخبار الأرضية بجهاز حاسوب المجرة ، إكتشفت أن الهوية التي يبحث عنها الجميع ويتحدث عنها الجميع ويرغب فيها الجميع ويعتبرها الجميع ضرورية، هي الوقائع .

دخلت متجراً كتب عليه "عندنا كل شيء" فسألته دون تردد :

- أريد من فضلك واقعتين ، واحدة لي ، وواحدة لخطيبتي. و قلتُ أريد الفعل لا القول .

حدق فيّ الرجل بعينين خاليتين من الود :

- أنا لا أعرف هل أنت إنسان آلي أم قزم بعثك حزب سياسي ما . إسمع جيداً لقد طفح الكيل . وسئمت فقاقيع الحملات الإنتخابية .

حاولت أن أقول - لكنه قاطعني . تدخل رجال آخرون في الحديث . تعالت أصواتهم . ودخلوا في نزاع و بدؤوا يتقاذفون الحجارة .

إبتعدتُ . كنت مرهقاً . و مشيت ومشيت ، خرجت من المدينة إلى أن وجدتني أنت هنا . بائس أفكر في أخذ بعض السجادات التي تسمونها أنتم شوارع . سأحملها معي في مركبتي . لكن لفها ليس يسيراً .لربما آخذ قطعة من الزغب الأخضر. أنا لم أفهم شيئاً من هذه

الأرض ، وسأجازف بأخذ أي هدية منها . كل الناس هنا يضحكون مني و من خيبتي . إنه الإحباط بعينه.

سمعت ثلاثة رجال صغار يتحدثون .

قال أحدهم :

- بي عطش شديد .

- سندفع أي شيء من أجل علبة ليمونادا ..

رد عليه الثاني.

هذه المرة قمت بتشغيل جهاز الدفع السريع وطرت نحو أول متجر. أنا مستعد حتى لإستعمال الدفع الضوئي . على مقعد المحل رأيت إمرأة بوحدتين من الكواتس على عينها . قلت لها :

- أيتها الأنثى ، أعطيني كل ما معك من علب الليمونادا !

ردت الأنثى :

- أنت غريب أيها الصغير. ولمست أنفي بدورها (وهو في الواقع ليس أنفا ، إنما جهاز تناسل) ..

قالت :

- لم يبقَ عندي سوى أربع علب .. أتأخذها ؟؟

- نعم .. – أجبت.

- ألفان وأربعمائة دولار.

لم أفكر في ذلك .. فجاءتني فكرة . وضعت بين يديها قطعتين أو ثلاث من الكواتس اللامع الذي يعجب النساء كثيراً . رأيت لونها ينخطف و اختفى صوتها . كادت أن تموت ...

ثم طرت من جديد نحو الرجال الثلاثة الصغار.

قال لي أحدهم:

- من أي لعنة أنت أيها الكائن الغريب ؟!

لم أفهم معنى "لعنة" لكني قلت:

- أنا كائن آلي . ربحت علبة ليمونادا في مباراة ، وربحتم أنتم ثلاث علب .لكل واحد منكم واحدة.

- ياه ... صاح الأول

- رائع .. صاح الثاني

- يا لبهجتنا .. صاح الثالث .

وشرعوا فوراً يعصرون العلب و يمتصون زيتها. كالأطفال .

- إنها هدية جميلة ، أليس كذلك ؟!

قال الأول :

- إنها أجمل هدية تلقيتها اليوم

- إنها رائعة – أكد الثاني .

- أنا الآن بألف خير – قال الثالث .

حسنٌ . تصافحنا حركوا أيديهم ، حركت أنفي . أنفي الحقيقي الموجود يميناً في الأسفل ، وليس التناسلي. وعدت إلى آلتي أتأمل العلبة التي حصلت عليها . جميلة . شفافة . والزيت الداكن بداخلها يتحرك . يا لها من رائحة . إنها أيضا جوهرة دائرية مزخرفة الحواشي . كُتب عليها ليمونادا بحروف حمراء نارية . قلادة تحمل في العنق أو على الرأس أو في الأذنين . هدية رائعة لحبيبتي .

تعجلت العودة إلى البيت إلى أن إختنق المحرك وتعطلت المركبة .

وها أنت وجدتني أيها السيد ، أعرف أنك تريد علبتي الثمينة .. لكن أرجوك . خذ أي شيء .خذ أحجار الكواتس البراقة. خذ قبعتي . خذ أي قطعة من مركبتي . خذ المقود . خذ كلبي الذي يحرك رأسه بالإيجاب دائماً . خذ أي شيء ودع لي العلبة أرجوك . إن حبيبتي تنتظرني ..!

أجبته :

- ياسيد كرابوتنيانكرك . أو أياً كان إسمك ، أنا لا أرغب في علبتك . ولكن باسم سكان الأرض سأمنحك شيئاً يُضاف إليها . إذا أردت يوماً أن تجعل أصدقاءك يشمون رائحتها ، فاستعمل هذا الجهاز وستنفتح العلبة .

- إنه جميل . أله إسم ؟!

- سدادة .

- سدادة – ردد كائن بيكوديا بتأثر .

- شكراً سيدي .هذا كثير عليّ وكم تساوي ؟!

- لا تهتم قلت لك خذها وعد إلى بيتك . إنهم بانتظارك ...

أدرت محرك سيارتي الصغيرة الفيات ٥٠٠ .. بينما هو إهتزت مركبته قليلاً . زمجر محركها . و أي محرك قوي ! خلال عشر ثوان إختفى وسط السحب .

عدت إلى الصيد .إصطدت ثلاث سمكات وزن الواحدة منها خمس كيلوغرامات .. ولمعت في الفضاء نجمة بعيدة واختفت.!

سفر القصص

ألا تسمع نباح الكلاب .. ؟!
• تأليف خوان رولفو
الرأس ذو الريشة
• تأليف ناثانيل هوثورن
دعينا نتمشى قليلاً .. إلى الأبد
• تأليف: كورت فونيجت
الأشياء التي تركت وراءك
• تأليف : جون ريفنسكروفت
مكالمات تليفونية
• تأليف روبرتو بولانيو
ذيل هاهينا مخزن أحزان
• تأليف بشرى الفاضل
غليون الجندي
• تأليف ايليا إيرنبورج

عاشق من المريخ
• تأليف ستيفانو بيني
حياتي مع موجة
• تأليف أوكتافيو باث
بحثٌ عن العمق
• تأليف باتريك زوسكيند
كيف سطا السيد هوجن على البنك
• جون شتاينبك
فدية زعيم الهنود الحمر
• تأليف أو . هنري
وردة الى أميلي
• تأليف وليم فولكنر
الابن
• تأليف هوراسيو كيروغا

تحولات بيكتور
• تأليف هيرمان هسه

كتاب جيل جديد (٢) سفر القصص PDF



تصميم أيمن عبد السلام
a4helso@gmail.com

